المتنبى

بين محمود شاكر وطه حسين

تأليف
الدكتور عبد الحميد القط

الطبعة الأولى
١٩٩٢

دار المعارف

الفهرس

تمهيـــد

اخترت هذا البحث وجعلت عنوانه «المتنبى بين محمود شاكر وطه حسين» وذلك لكى أقدم جهد الباحثين فى دراسة هذا الشاعر العظيم الذى كثرت الدراسات حوله فى القديم والحديث . ولكننى فى هذه الدراسة بطبيعة الحال لايمكننى أن أتجاهل دراسات أخرى سبقت الدراستين كدراسة الأستاذ العقاد للمتنبى فى ثمانى مقالات بين سنتى ١٩٢٣، ١٩٢٤، وهى تسبق كتاب المتنبى لمحمود شاكر الذى نشر سنة ١٩٣٥ ، وكذلك كتاب مع المتنبى لطه حسين، وكذلك كتاب عبد الوهاب عزام الصادر قبل كتاب طه حسين فى سنة ١٩٣٥ .

ومقالات الأستاذ العقاد تثير عددا من القضايا حول المتنبى ، مثل قضية ادعائه للنبوّة (١) ، كما تثير قضيّة فنيّة فى شعره ، وهى ولعه بالتصغير (٢) ، كما يتحدث فى مقال آخر عن شهرة المتنبى (٣) ، ثم يتناول فى مقال رابع فلسفة المتنبى (٤) ، ثم يعقد مقارنة بين فلسفة المتنبى وفلسفة نيتشه (٥) ، ثم يقارن بين فلسفة المتنبى فى ضوء فلسفة نيتشه وداروين (٦) ، ثم يتناول فن المتنبى بالدراسة (٧) ، وقد نشرت هذه المقالات ضمن كتاب مطالعات فى الأدب والحياة للأستاذ العقاد سنة ١٩٢٤.

ثم تأتى دراسة الأستاذ محمد محمود شاكر بعدها بإحدى عشر عاما تقريبا وكذلك دراسة عبد الوهاب عزام ، وطه حسين ، ولن يقتصر بحثنا على كتابى طه حسين ، ومحمود شاكر ، وإنما سوف نتناول منهجهما وآراءهما بالعرض والتوضيح مستعينين بالدراسات الأخرى التى تناولت الشاعر قديما وحديثا بالقدر الذى يخدم هدفنا، وهو بيان الجهد الذى قدمه الباحثان من خلال معارفهما الحديثة ، واتكائهما على الآثار الاجتماعية والنفسية والبيئية على شعر الشاعر وحياته معا .

---

(١) عباس محمود العقاد . مطالعات في الكتب والحياة . دار المعارف . القاهرة. الطبعة الرابعة .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢٦ – ١٣٢ / ١٩٨٧ ص ١٢١ – ١٢٥ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٣٣ – ١٣٩ ويعود إلى الموضوع نفسه ص ١٤٠ – ١٤٤
(٤) المرجع نفسه ص ١٤٥ – ١٥٦
(٥) المرجع نفسه ص ١٥٧ – ١٦٥
(٦) المرجع نفسه ص ١٦٦ – ١٧٤
(٧) المرجع نفسه ص ١٧٥ – ١٨٠

أن نصف الدراسة التى بين أيدينا ، بأنها محاولة لكتابة سيرة أبى الطيب المتنبى فى أطارها التاريخى والنفسى ، على نحو ما كان يفعل «سانت بيف» فى دراساته النقديّة المعروفة (١) ، ويقول محددا عناصر منهج طه حسين: «ونستطيع أن نحدد هذا المنهج، ونحصر عناصره، فى أن شخصية الشاعر ، نتاج لهذه الظروف المختلفة التى كان يعايشها . من البيئة ، إلى الوسط الاجتماعى الخاص والعام ، إلى العصر بكل ماضيه وواقعه الحضارى ، وأن شعر الشاعر هو الآخر نتاج هذه الشخصيّة التى شكلتها ظروف حياتها على هذا النحو أو ذاك (٢) ، وهو باختصار يستخدم مذهب تين فى النقد القائم على البيئة والجنس والعصر (٣) .

والمتنبى محظوظ بطبيعة الحال ، فقد نال من الدراسات الكثير ، يقول عنه كارل بروكلمان: «وما يزال المتنبى يحتفظ بمجده وشهرته الشعريّة إلى يومنا الراهن ، كما شهد بذلك تكريم جميع الناطقين بالعربيّة لذكراه فى عيده الألفى سنة ١٩٣٥ م . ولا يزال ديوان المتنبى إلى جانب مقامات الحريرى أشهر ما يقرؤه الأدباء فى إقليم «عمان» السحيق. وكان نصيف اليازجى على وجه الخصوص هو الذى أحيا شهرة المتنبى فى بلاد الشام . أما فى الأدب المصرى الحديث فقد اقتفى بخاصّة آثار المتنبى كل من محمود سامى البارودى ، واحمد شوقى، بيد أن شعراء الفرس كذلك تأثروا تأثرا عميقا بشعر المتنبى (٤) .

وسوف يعرض البحث للموضوعات السابقة وغيرها ، فى محاولة لعرض حقائق ماتعرض له الباحثان فى كتابيهما على ضوء أقوال القدماء والمحدثين جهد الطاقة .

دكتور عبد الحميد القط

---

(١) الدكتور ابراهيم عبد الرحمن . والدكتور عفت الشرقاوى . «دراسات عربية . مكتبة الشباب القاهرة . ١٩٧٧ ص ٦١ .

(٢) المرجع نفسه ص ٥٥

(٣) المرجع نفسه ص ٥٩ - ٦١

(٤) تاريخ الأدب العربى حـ ٢ . ترجمة دكتور عبد الحليم النجار . دار المعارف - القاهرة ط ٢ ، ١٩٦٨ ص ٨٤ .

الباب الأول

حياة المتنبى

الباحثان والمتنبى

يبذل الأستاذ محمود شاكر جهدا كبيرا فى دراسة حياة المتنبى وشعره . وقد واجهته مشاكل فى دراسته تلك ، وأولها نسب المتنبى (١) ، وترتيب شعره فى قسمه الأول من ديوانه ، وتحقيق بعض الأمور الخاصّة بحياته ، وقد تتبع المتنبى فى الكوفة وبغداد ، والشام ، قبل وصوله إلى سيف الدولة ، وتحدث عن علاقته به ، وسبب رحيله عنه ، وذهابه إلى كافور ثم انتقاله من بلاط كافور إلى العراق ، ثم إلى فارس ، إلى أن قتل . وقد اقتنع الأستاذ محمود شاكر بأن المتنبى عربى ، وأضاف إلى ذلك أنه علوى ينتسب إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وحاول أن يحل مشكلة واجهت غيره من الباحثين وهو ما وجده فى فى شعره من الثورة ، والخروج ، لتحقيق شىء ما ، فحلت له علوية المتنبى مشكلة هذا الشعر ، فخروجه هو لتحقيق نسبه ، والانتقام من العلويين الذين حرموه من هذا اللقب الشريف. وسوف نناقش هذا فى داخل البحث .

ومن القضايا الهامة التى تعرض لها الأستاذ محمود شاكر قضيّة ادعائه النبوة ، وقد رفضها ، كما تعرض لقضية أخرى وهى عروبة المتنبى ، أو بعبارة أخرى تعصب المتنبى للعرب ، ضد الأعاجم الذين كانوا يسيطرون على مقاليد الأمور فى أغلب بقاع الدولة الإسلامية ، ويتناول بالبحث علاقة المتنبى بسيف الدولة وهو فى رأيه علوى كالمتنبى ، وتربطهما علاقة وطيدة ، ويحدد علاقة المتنبى به بسنة ٣٢١ هـ حيث مدحه لانتصاره على بنى ضبه وقوم آخرين . ولما كان خروج المتنبى من عند سيف الدولة بعد ذلك الزمن الطويل فرارا من بلاطه ، وبدون إذنه . فقد رأى الأستاذ محمود شاكر أنه لابد أن يكون وراء ذلك سبب ذو خطر ، لا لمجّرد المكائد والدسائس بين المتنبى والشعراء وأحد اللغويين ، فقد اشترك فى هذا العداء أبو العشائر الذى كان صاحب الفضل فى تقديم الشاعر لابن عمه سيف الدولة . ولذا رأى أن ذلك كان بسبب حب المتنبى لخولة أخت سيف الدولة .

ويتعرض كذلك لبعض القضايا الفنية فى شعر الشاعر ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فى داخل البحث .

---

(١) ابن رشيد العمدة جـ١ ، ط٥ . ص٨٩ حيث يرى ابن رشيق أن هناك غموضا في نسب المتنبى وإن اعتبره آخر الشعراء الفحول فى الشعر العربى يقول : «ويختمون الشعر بأبى الطيب وهو خاتمة الشعراء لا محالة ، وكان ينسب فى كنده ، وهى رواية ضعيفة . وإنما ولد في كندة بالكوفة فيما حكى ابن جنى وإلا فكان غامض النسب . فيقولون : بدىء الشعر بكنده – يعنون امرأ القيس وختم بكنده يعنون أبا الطيب . وزعم بعض المتأخرين أنه جعفى .

إلى اتصاله بأبى العشائر بن حمدان وعلاقته به ، وكيف عرفه بسيف الدولة.

والقسم الثالث من الكتاب أو الكتاب الثالث كما يسميه صاحبه ، فعن علاقة المتنبى بسيف الدولة ، وهو يوضح رقى شعره فى بلاطه . ويركز على النواحى الفنية فى شعره فى تلك الفترة ويوضح أثر البيئة (أو بلاط سيف الدولة) على شعر المتبنى وعلى جودة ذلك الشعر . لما تهيأ له فى تلك البيئة الجديدة من فراغ ، ولما وجد فيها من خصب ، وعطاء ، وثقافة ، ثم ما كان يقوم به الأمير الحمدانى من حروب مع الروم ، وبعد ذلك كله ما تمتع به الشاعر من ثقافة جعلته يتكيف مع تلك البيئة ، ويستفيد منها فنيا وثقافيا (١) .

ثم يحدثنا عن رحيل المتنبى عن سيف الدولة وعن أسباب ذلك الرحيل فى الكتاب الرابع أو القسم الرابع من الكتاب والذى يتناول حياة أبى الطيب فى مصر، وفى بلاط كافور الإخشيدى ويشير فى أثنائه إلى الأسباب التى دفعت المتبنى إلى الذهاب إلى مصر لا إلى بغداد ، ثم يشكك فى بعض الأخبار التى تتحدث عن إقامة المتنبى فى دمشق والرملة قبل أن يذهب إلى مصر ويقارن بين البيئتين المصرية والحلبيّة فمصر بيئة اطمئنان واستقرار وليس كذلك الحال بالنسبة لحلب .

ثم هو يعرض لأثر البيئة المصرية على المتنبى وعلى شعره ، كما يعرض للعلاقة بين المتنبى وكافور ، ويرى أن موقف الأخير وأعوانه كان طبيعيا بالنسبة للمتنبى ، فالمصريون وعدوه بالولاية والسلطان ، ولم يفوا بوعدهم ، أما هو فحلم بأن يكون واليا أو حاكما فى اقليم لاشاعرا مأجوراً ، وهو تحليل نفسى يعتمد فيه طه حسين على ما يروى من أن المتنبى كان يطلب السلطان شابا ولم يتحقق له ذلك فقد عرضت وتهيأت له الفرصة المواتية فى بلاط كافور ، وهكذا يمضى فى الكشف عن نفسية المتنبى والظروف المحيطة ثم يتحدث عن أثر البيئة المصرية فى شعره ثم يوجه ملاحظاته النقدية لهذا الشعر مستجيدا بعضه ، غير مستجيد بعضه الآخر .

وأما الكتاب الخامس ، أو القسم الخامس من الكتاب فعن المتنبى فى العراق سواء فى الكوفة أو بغداد، وهل كان ينوى الرجوع لسيف الدولة أم لا . كما يتعرض لموقفه فى بغداد ، وسياسته فى التعامل مع نظام الحكم فيها . ثم عن توجهه لمدح ابن العميد ، ثم عضد الدولة ، وهو فى هذا القسم لا ينسى أثر البيئة على شعر المتنبى ، وأثر ابن العميد على ذلك الشعر بوصفه ناقدا خبيرا بجيد الكلام ورديئه .

---

(١) المرجع نفسه ص ١٨٤

نسب المتنبى بين محمود شاكر وطه حسين

يحظى نسب المتنبى بأهمية كبرى فى كتاب «المتنبى» لمحمود محمد شاكر ، فى حين أننا لانجد مثل هذا الاهتمام بنسبه فى الكتب القديمة ، إلا فى أثناء حديثهم عن ترفعه عن مدح المهلبى وزير معز الدولة ببغداد ، مما جعل الأخير يثير الشعراء ضده ويحرضهم على هجائه (١) ، وقد ذكر الثعالبى شيئا آخر عن نشأة المتنبى فقال : « ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه سافر إلي بلاد الشام ، فلم يزل ينقله من باديتها إلي حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه فى المكاتب ، حتى توفى أبوه ، وقد ترعرع أبو الطيب ، وشعر وبرع» (٢) .

فهذا يخالف ما هجى به من أن أباه كان سقاء يدعى عيدان السقاء ، مثل قول بن لنكك هاجيا له :

قولاً لأهل زَمَانٍ لاَخلاَقَ لهم ... ضلُّوا عَنِ الرُّشْدِ مِنْ جَهْلٍ بهم وَعموا
أعطَيْتموا المتبنى فوق مُنْيَتِه ... فزَوِّجوهُ بِرَغْمٍ أمُهاتكمُ
لكن بغداد جَادَ الغيثُ ساكِنَها ... نِعَالُهم فِي قفا السَّقاءِ تَزْدَحِمُ (٣)

فهجاه بأن أباه كان سقاء (٤) .

وقد بذل محمود شاكر جهدا كبيراً فى الكشف عن هذا النسب الذى يرى أن القدماء لم ينقلوه إلينا صحيحا . كما بذل جهدا آخر فى التأريخ لشعر المتنبى فى القسم الخاص الذى لم يكم

---

(١) انظر البديعى . الصبح المنبى ص ١٤٣ وانظر أيضا ص ١٤٤ ، ١٤٥

(٢) أبو الطيب ما له وما عليه ص ٣١ ، ٣٢

(٣) الصبح المبنى ص ١٤٥

(٤) وانظر د. صلاح عبد الحافظ ، الصنعة الفنية في شعر المتنبى . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٨٣ ص ٤٠ حيث يرجح بناء على ما يروى فى شأن نسب المتنبى وتكتمه هذا النسب ، أن يكون نسبه غير شريف ، وإن كان لا يقطع بشيء في هذا الأمر ، وانظر فتحى رضوان . مجلة الشعر . عدد ١٠ ، أبريل ١٩٧٨ « نسب المتنبى عند محمود شاكر ص ٢٣ - ٢٩ . حيث يرى أن المتنبى كان وضيع النسب مؤكدا رأيه بعدد من الأدلة ، كاختلاف المؤرخين فى نسبه ووقوفهم عند حد معين ، ومنها أن الشعراء لم يهجوه بضعة هذا النسب ، ولكن ذلك لا يعنى أنه كان شريفا . وأيضا سكوته هو عن نسبه ، وفخره بنفسه ، ويرجح أن يكون المتنبى يملك نفسا غير سوية أو مريضة نتيجة لهذا النسب الوضيع ، وغير ذلك .

أثناء الإعداد للثورة العباسية ، وأنها أرسلت ابنها إليه وهو خليفة ، ومع أشياء كان قد تركها لها لإثبات بنوة الإبن إذا كبر ، وقد جاء الطفل إلى الخليفة وقد أصبح شابا ، ولكنه يقتل بالسم قبل أن يعلن الخليفة النبأ ، وبذلك الجرم يقتل الخليفة من كان قد وكله برعاية ابنه فقتله (١) وقصة الخليفة العباسى ووالده – إن صحت – لا تنطبق بالضرورة على المتنبى ووالده العلوى . حتى تصبح سندا تقوم عليه نسبة الرجل ، ويبنى عليها تاريخ حياته كله .

ومع أنه يبدأ قصة علوية المتنبى على أنها ليست أكثر من ترجيح للظن (٢) إذ لا دليل عليها يمكن الركون إليه (٣) ، لا من التاريخ ولا من غيره من الروايات الموثقة فإنه يقول قولا قاطعا : «فاصبحت على المتنبى عيون الفاطميين ، وعيون العلويين ، وعيون الدولة القائمة فى الشام . فلما ظهر فى بنى عدى أرسلوا فى القبض عليه ، فطاردوه من بلد إلى بلد ، وكان يستخفى منهم ، حتى وقع أخيراً فى يد (ابن على الهاشمى العلوى) فى قرية يقال لها كوتكين ، فقبض عليه وأمر النجار بأن يجعل فى رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف (٤) . فعلوية المتنبى التى كشف عنها كانت وراء سجنه فى الشام ، وكان العلويون هم الذين وضعوه فى السجن لهذا السبب (٥) .

ولانريد أن نستطرد فى بيان ذلك ، لأنه لا دليل على كل ذاك من وثيقة تاريخية أو رواية موثقة ، وإنما هى مجرد استنتاجات يعوزها الدليل . فما كان رجال السياسة مشغولين بخطورة المتنبى السياسية ، وإنما كانوا مشغولين بشعره ، طلبا للمجد والشهرة ، أو الدعاية . وقد طلب مدحه كثيرون من عظماء عصره ، وكذلك طلبه غير العظماء . ومن المعروف أن "كافور" استدعاه إلى مصر

---

(١) المرجع نفسه ص ٥٣ ، ٥٤ ، وانظر المرجع نفسه ص ٤٦ – ٤٨ .

(٢) المرجع نفسه ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) وانظر عبد العزيز الدسوقى . فى عالم المتنبى . دار الشروق . بيروت . لبنان ، ١٩٨٤ ص ١٥٥ ، ١٥٧ حيث يرى أن محمود شاكر ، لم يستطع إثبات ما يدعيه للمتنبى من علوية ، ويراها قصة خيالية . وانظر أيضا المتنبى حـ ١ ، ص ١٨٥ حيث يرى الأستاذ سعيد الأفغانى أن ما ذكره محمود شاكر عن نسب المتنبى ، إنما هو خيال جميل .

(٤) محمود شاكر . المتنبى جـ ١ . مرجع سابق ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٥) انظر الدكتور نعمان القاضى . كافوريات أبى الطيب . مركز كتب الشرق الأوسط ومكتبتها . القاهرة ، ١٩٧٥ ص ٦٥ . حيث يرى أنه لو كان لأبى الطيب المتنبى أب علوى شريف ، لأنشد فيه القصائد الروائع ، ولتغنى بذكراه . كما يذكر أن الدعوة إلى العلوية لم تكن قاصرة على من ينتسبون إلى على وحدهم ولا يشترط فى دعاتها ذلك ، وهو أيضا يرى أن هذا الفرض لا يحل مشكلة نسب المتنبى بل يزيدها تعقيداً . وأن من قال بعلويته من أراد أن يفسر تمرده فى سن الشباب .

ألف طه حسين كتابه «مع المتنبى» – كما هو معروف – بعد محمود شاكر . وهو لا يشك فى نسب المتنبى وحده ، وإنما يشك فى عروبته كذلك . لأن ديوان الشاعر لا يشير إليها : «وقد تعوّد الناس أن يؤمنوا بأن المتنبى رجل خالص النسب . ينتهى من قبل أبيه إلي جعفى ، ومن قبل أمه إلى همدان ، وهما حيان من أحياء الأمة ، فيما يقول المؤرخون والنسابون . وجائز جدًا أن يكون المتنبى عربيا ، وجائز أن يكون من عرب الجنوب ، جعفى الأب همدانى الأم . ولكن الشىء الذى ليس فيه شك هو أنّ ديوانه لا يثبت هذا ولا يؤكده . بل لا يسجله ولا يذكره . ومن يدرى لعل ديوانه ينفيه نفيا هو إلى الصراحة أدنى منه إلى الإشارة والتلميح» (١) .

وهو إذ يبدأ فى إثارة الشك فى نسب الشاعر يمضى إلى بيان رأيه بصورة لا تحتمل شكا ولا تأويلا ، فالمتنبى لا يعرف له أبا (٢) ، ثم هو ينسب نفسه إلى أب ليس كآباء الناس ، فهذا الأب متجزىء له بعض يمتاز من كله . يقول : « فالمتنبى – كما ترى – لا ينسب نفسه إلى أب كآباء الناس ، وإنما ينسب نفسه إلى متجزىء له بعض يمتاز من كله ، وبعض هذا يفوق آباء الباحثين عن نسبه المتقصين لأمره» (٣) .

ويستمد طه حسين من قول الشاعر : مادحا أبا العشائر بن حمدان :

إن الكذابَ الذى أكاد بـه أهون عندى من الذى نقله

بأن هذا «الكذاب» يتمثل فى طعن خصومه في نسبه ، فقد عجز الشاعر عن أن يذكر نسبه عندما سئل عن ذلك . وفضل أن ينتسب إلى المجد والكرم والبأس . ويرى أن الأبيات الأخرى التى يذكرها الشاعر مع البيت السابق ، تؤكد ضعة نسبه ، فهو يغلو في الحديث عن نفسه مفاخرا ومزدريا عائبيه ، كرد فعل لضعف ذلك النسب ، وإن كان هذا لا يمنع من أن المتنبي كان حسن الرأى فى نفسه ، خبيرا بالناس ، شديد الازدراء لهم (٤) .

ودليل طه حسين الآخر على ضعة نسب المتنبى ، أنه لم يمدح أباه فى شعره . وكأنّ هذا كان سنّة متبعة بين الشعراء ، وقد رفض محمود شاكر ما ذكر عن نسب المتنبى عند القدماء ، لأنه صادر إما عن متحمسين للشاعر منحازين له ، أو أعداء له متحاملين عليه (٥) . ويرى طه حسين أن

---

(١) مع المتبنى : الطبعة الحادية عشرة . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٦ ص ١٢
(٢) المرجع نفسه ص ١٣
(٣) المرجع نفسه ص ١٥
(٤) المرجع نفسه ص ١٦ بتصرف
(٥) انظر محمود شاكر . المتنبى ص ١٧ – ٢٨ وانظر طه حسين مع المتنبى ص ١٣ .

ومن أغرب ما يذكره طه حسين قوله إن المتنبى لم يعرف أمّه ، لأنه لم يذكرها فى شعره (١) ، ويمضى الباحث مع هذا الفرض حتى يصل به إلى الغاية فيقول : « فنحن لانعرف اسمها ، ولا نعرف أباها ، ولا نعرف أكانت عربيّة من قبل أبيها أم أعجمية ، وكل ما نعرفه أن أمها قد عطفت على المتنبى ، وأحبته وكلفت به ، وعمرّت حتى رأته رجلا ، وهذه السيدة التى قتلها حبّ حفيدها ، فيما يقال لا نعرف لها اسما ولا أبا ، وإنما نعرف أن بعض الرواة كانوا يقولون إنها همدانية صحيحة النسب ، وأنها كانت من صوالح نساء الكوفة . وهذا ما يعرفه عنها التاريخ ، وهو كذلك كل ما يعرفه عنها ديوان المتنبى - استغفر الله - فديوان المتنبى لا يذكر نسبها ولا يشير إليه ، ولعله يشكك فيه بعض التشكيك بهذا البيت الذى أملاه الغرور وصاغه الكبرياء ، ووضعه جموح الشاعر فى غير موضعه من الرثاء ، وهو قوله :

وَلَوْ لَـمْ تَكُـونِى بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِـدٍ ... لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِى أُمَّا (٢)

وليس فى جهل معاصرى الشاعر باسم الأم أو الجدة اللتين ينتمى إليهما ما يدل على ضعة فى الأصل ، لأن كثيراً من الشعراء لا يعرف عنهم ذلك . كما أن الشاعر ليس مطالبا بتسجيل نسبه فى شعره ، ولما كانت مثل تلك الأمور لاتثبت نسبا رفيعا ولا تسقطه ، ولا دليل فيها على شىء من هذا . ذهب الدكتور شوقى ضيف إلى أن المتنبى عربى صميم ولد لأب جعفى وأم همدانية يمنية كانا يعيشان بالكوفة ، وأن المتنبى إذا كان لم يشر إلى أبيه أو إلى أمه فى أشعاره ، فليس هذا دليلاً على الشك فى نسبه ، فكثير من الشعراء العباسيين يشركون المتنبى فى هذا ، رغم أنهم عرب خُلّص لا يشك فى عروبتهم كالبحترى الذى يخلو ديوانه من الحديث عن أبيه وأمه ، أو رثائهما ، والحزن عليهما بعد ما ماتا ، ومع ذلك فلا يمكن اتهامه فى نسبه ، وإذا صح أن والد المتنبى كان سقاء فإن هذا لا يلغى نسبة اليمنى ، وإنما يجعله قد نشأ نشأة متواضعة . كما ينكر أن يكون فى قول المتنبى :

لاَ بِقَوْمِى شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِـى ... وَبِنَفْسِـى فَخَـرْتُ لاَ بِجُـدُودِى
وَبِهِمْ فَخرُ كلِّ مَنْ نَطَـقَ الضَّـادَ ... وَعَـوْذُ الجَـانِى وَغَـوْثُ الطَّـرِيدِ

ما يدل على وضاعة نسبه ، وإنما يدل على فخر الشاعر بعبقريته (٣)

---

(١) المرجع نفسه ص ١٧

(٢) دكتور شوقى شيف . فصول فى الشعر ونقده . ط ٢ ، دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٧ ص ٧٣ ، ٧٤ . بإيجاز وتصرف .

(٣) انظر محمود شاكر ، المتنبى جـ٢ ، مرجع سابق ص ٣٥١

بيئة المتنبى وأثرها عليه

اهتم محمود شاكر ببيئة المتنبى وعصره . وتحدث عما كان فى هذا العصر من الدعوات السريّة والثورات فيقول : « وقد كان عصرا مملوءا بكل عجيب من الدعوات الخفية والثورات السرية التى لا يخطئها مطلع على تاريخ تلك الفترة من العصر العبسى . وبَيّنّ من شعر المتنبى الذى وقع فى ترتيبنا لديوانه فى هذه الفترة ، أنه حين دخل العراق لقى بعض الكيد على إثر ماعرف عنه من الثورة القائمة فى صدره» (١)

ولكنّه يصور البيئة المحيطة بالشاعر دون أن يظهر نـ تجاوب الشاعر مع تلك البيئة . بحيث ندرك أن المتنبى كان ثمرة لها . وإنما المتنبى عنده ثائر عَلَوي يريد أن يسترد نسبه ويعيد للعرب سلطانهم ، وهو فى هذه البيئة موضوع تحت رقابة رجال السياسة المتصارعين عندئذ : «فاجتمعت على المتنبى عيون الفاطميين وعيون العلويين ، وعيون الدولة القائمة فى الشام . فلما ظهر فى بني عدى أرسلوا فى القبض عليه ، فطاردوه من بلد إلى بلد ، وكان يستخفى منهم ، حتى وقع أخيراً فى يد (ابن على الهاشمى العلوى) فى قرية يقال لها كوتكين ، فقبض عليه وأمر النجار بأن يجعل فى رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف . فقال له المتنبى بيتين ذكرناهما آنفا وبقى المتنبى فى السجن من أواخر سنة ٣٢١ أو أوائل سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٢٣ ، ثم أطلق» (٢) .

ويرى بلاشير أن المتنبى بقى فى السجن عامين ، ثم أطلق على أن يرجع عن غيّه ، وهو يراه مسجونا بسبب ثورته هو ومن معه من البدو (٣) فهو ثائر ثورة سياسية ، كما يرى ذلك محمود شاكر . ولاشك فى أن المتنبى تأثر تأثر شديدا بالبيئة التى كان يعيش فيها ، ولكن هذا التأثر لا يلغى شخصيته ، ولا قدرته على الإبداع . فالشاعر «مخلوق أرضى يعيش فى بيئة ذات صبغة جمالية خاصّة ، ويستجيب لطائفة من المنبهات الفنية ، ويتأثر بمجموعة من التيارات المالية السائدة ، بحيث أنه لو تغيّرت بيئته الاجتماعية لترتب على هذا التغير بالضرورة انقلاب هائل في إنتاجه الفنى . وليس معنى هذا أنه لا قيمة على الاطلاق لمعادلة الفرد الشخصى فى تحديد طرازه الفنى أو أسلوبه الجمالى ...» (٤)

---

(١) المتنبى . جـ١ . ص ٩٨

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٣ ، ١٠٤

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٣٦٦

(٤) دكتور زكريا ابراهيم . مشكلة الفن . مكتبة مصر . القاهرة ١٩٧٧ ص ١٥١

وقد توسع طه حسين فى أثر البيئة بما فيها من عناصر الثقافة والسياسة وما أدى ذلك إلى آثار خطيرة أصابت الفرد فى تلك البيئة كعظم الشخصية الفردية ، وضعف قوة الجماعة ، وتغلب الأنانية على نوازع الأفراد ، مما أدى إلى ضعف العواطف التى تقوم عليها الحياة الاجتماعية. ولكن تلك النزعات لم تكن تظهر سافرة فى أغلب الأحيان بل تسير فى طرق ملتوية مستترة (١) .

كل تلك الدراسة القيمة لظروف العصر أو البيئة التي كان يحيا بها المتنبى لكى يكشف الباحث عما أصاب المتنبى ، كما أصاب غيره بالطبع ، من الميل إلى المغامرة والمخاطرة ، والسعى وراء المطامع التى لا حد لها . وما كان يحققه بعض المغامرين من الفوز ، الأمر الذى يغرى غيرهم بمحاكاتهم (٢) .

والباحث يريد أن يفسر – فى رأيى – ما يشغل المتنبى من ميل الى الدم والقتل والثأر ، ويراه نابعا من تلك البيئة التي عاش فيها . يقول : «ولد المتنبى فى بيئة كان الدم يصبغها من حين إلى حين ، كان الدم يصبغها ثم لايكاد يجف حتى يسفك دم آخر . ولم يكن الدم وحده يصبغها ، وإنما كان يصبغها صبغ آخر ليس أقل نكرا من سفك الدم ، هو النهب والسلب ، واستباحة الأعراض ، وانتهاك الحرمات ، والاستخفاف بقوانين الخلق والدين (٣) . ويضيف إلى ذلك ضعف سلطان العرب فى الدولة العباسية فى زمن المتنبى ، مما يفسر الفساد السياسى بكامله (٤) .

قلت إن طه حسين يريد أن يفسر دموية المتنبى بالبيئة الدموية تلك وأيضا يريد أن يفسر حبه للعروبة بزوال سلطان العرب وفساد الحكم (٥) .

ومن أغرب ما يستنتجه طه حسين أن وصف المتنبى لنعله دليل على أنه سافر إلى بغداد من الكوفة ماشيا لا راكبا . يسابق الريح فرارا من السلطان ، قال المتنبى :

إليك أبا العباس من دون مشى عليها امتطينا الحضرمىّ الملسَّنا

يقول طه حسين فى تعقيبه على ذلك البيت : «فلم يزد المتنبى على أن قال إنه سعى إلى

(١) المرجع نفسه ص ٢٩ ، ٣٠
(٢) المرجع نفسه ص ٣١ ، ٣٢
(٣) المرجع نفسه ص ٣٢
(٤) المرجع نفسه ص ٣٢
(٥) المرجع نفسه ص ٣٢ ، ٣٣

ليس التَعلّلُ بالآمالِ مِنْ أرَبِي ... ولا القناعةُ بالإقلالِ من شيمي
وما أظنُّ بَنَاتَ الدهرِ تَترُكُني ... حتّى تَسُدُّ عَلَيْها طُرْقَها هِمَمِي
لمْ الليالي التي أخْنَتْ عَلَى جِدَتِي ... بِرقَّةِ الحالِ واعْذُرْنِي ولاَتَلُمِ
أرَى أُناساً ومحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ ... وَذِكْرِ جُودٍ ومَحْصُولِي عَلَى الكَلِمِ (١)

إلى أن يقول :

سَيَصْحَبُ النَّصلُ مثلَ مَضْرِبِهِ ... وينجلِي خَبَرِي عَنْ صِمَّةِ الصِمَمِ
لقد تصبَّرتُ حتى لاتَ مُصْطَبرٍ ... فالآن أقحمُ حتى لاتَ مقتحمِ
لأتركنَّ وجوهَ الخيلِ ساهمةً ... والحربُ أقومُ منْ ساقٍ على قدَمِ
والطعنُ يُحرِقُها والزجرُ يُقلقُها ... حتى كأنَّ بها ضرْباً منَ اللَّمَمِ (٢)

ثم يقول عن اتباعه فى ثورته :

بكلِّ مُنْصلتٍ ما زال منتظري ... حتى أدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الخَدَمِ
شيخٍ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً ... ويستحلُّ دَمَ الحُجَّاجِ في الحَرَمِ
وكلما نطحَتْ تحتَ الحُجَّاجِ بهِ ... أسْدُ الكتائبِ رامَتْهُ ولم يَرِمِ
تُنْسِي البلادَ بُروقَ الجوِّ بارقتي ... وتَكْتَفِي بالدمِ الجاري عَنِ الدِّيَمِ (٣)

فتصويره لبعض أتباعه بأنه لايقيم الصلوات الخمس ويستحل دم الحجاج فى الحرم ، وهو مافعله القرامطة ، من قتل الحجاج والقاء بعضهم فى بئر زمزم ونقل الحجر الأسود كل هذا – فى رأيى – جعل الكتور طه حسين يعتبره قرمطيا دمويا . وهذه القصيدة من شعره الذى نظمه في مرحلة الصبا فيها الغرارة والاندفاع ، وعدم الرويّة ، لكن لماذا تلك الثورة ؟ ومن اتباعه فعلا ؟ لا أحد يعرف .

وهناك مقطوعة أخري يخاطب فيها أبا عبد الله اللاذقى لما رأى إقدامه فى الحرب ، ولا ندرى أى حرب تلك . وفيها طموح شديد وثقة بالغة بالنفس وفيها يقول على سبيل المثال :

---

(١) الديوان جـ ٤ ص ٣٩

(٢) المرجع نفسه ص ٤٠ ، ٤١

(٣) المرجع نفسه ص ٤٢

فقد تغرب المتنبى وتنقل فى البلاد ، يبتغى شيئا لا نعرفه ، ولكنه كما يرى شىء جليل لا يستطيع لجلالته أن يذكره ، ثم يذكر قوما سوف ييتم أبناءهم فى أثناء تحقيق هدفه الجليل هذا ، الذى لا يستعظم تحقيقه بل لا يستعظم غير نفسه ، ووسيلته فى تحقيق ما يبتغى القوة أو السيف :

وَلَكِنَّنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ ... وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الغَشْمَا
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي ... وَإِلَّا فَلَسْتُ السيد البَطَلَ القَرْمَا
إذا فَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدىً خوفُ بُعْدِه ... فَأَبْعَدُ شَيْءٍ ممكن لم يَجِدْ عَزْمَا
وإني لِمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا ... بِهَا أَنِفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ والعَظْمَا (١)

ويظل يذكر هذه النغمة حتى فى عتابه لسيف الدولة وهو العتاب الذي كاد يؤدى إلى قتله حيث يقول :

وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي ... حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ
إذا نظرْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً ... فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا ... أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ
رِجْلاه فى الركض رِجْلٌ واليَدَانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الكَفُّ والقَدَمُ
وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الموت يلتطمُ
فالخيلُ والليلُ والبيداء تَعْرِفُنِي ... والضربُ والطعنُ والقرطاسُ والقلم
صَحِبْتُ فِي الفَلَوَاتِ الوَحْشَ مُنْفَرِداً ... حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّيَ القُورُ والأكمُ (٢)

فهو يذكر شجاعته وقتاله وفروسيته في هذه القصيدة حتى بعد أن مضى وقت طويل على سجنه بالشام ، بل هو يذكر هذه الشجاعة في قصيدته التى قالها بعد أن خرج من مصر :

ومن يك قَلْبٌ كقلبي له ... يشق إلى العز قلب التوى
وكل طريق أتاه الفتى ... على قَدْر الرجل فيه الخطا (٣)

---

(١) المرجع نفسه ص ١٠٨ ، ١٠٩
(٢) الديوان جـ ٣ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩
(٣) الديوان جـ ١ ص ٤٢

المنبى للبديعى خبراً يصف المتنبى بالجبن والفزع والثبات والشجاعة معا فقد ثبت مع سيف الدولة الذى لم يبق معه إلا خمسة أشخاص منهم المتنبى نفسه ويقال إنه توهم شجرة تعلقت بعمامته رجلا ، وأخذ يصرخ حتى طمأنه سيف الدولة ، وهى رواية لا أطمئن إليها يقول البديعى : «وصحب سيف الدولة فى عدة غزوات إلي بلاد الروم ، ومنها غزوة «الفنا» التى لم ينج منها إلا سيف الدولة بنفسه ، وستة أنفار أحدهم المتنبى ، وأخذت الطرق عليهم ، فجرد سيف الدولة سيفه ، وحمل علي العسكر ، وخرق الصفوف ، وبدد الألوف ، وحكى الرقى عن سيف الدولة قال : كان المتنبى يسوق فرسه ، فاعتلقت بعمامته طاقة من الشجر المعروف بأم غيلان فكان كلما جرى الفرس انتشرت العمامة ، وتخيل المتنبى أن الروم قد ظفرت به ، فكان يصيح الأمان يا علج ، قال : سيف الدولة : فهتفت به وقلت : أيما علج ؟ هذه شجرة علقت بعمامتك ، فودّ أن الأرض غيبته ، فقال له ابن خالويه : أيها الأمير أليس أن ثبت معك حتى بقيت فى ستة أنفار ؟ تكفيه هذه الفضيلة» (١) .

وهذه الراوية كما نرى تكذب نفسها بنفسها ، فالرجل الذى يثبت حتى يفنى الجيش الذى يحارب فيه ، لا يمكن أن يكون جبانا .

---

(١) البديعى . الصبح المنبى . مرجع سابق ص ٧٨ ، ٧٩ .

عقيدة المتنبى (قرمطيته)

يرى الدكتور طه حسين أن المتنبى قرمطىّ ، وقبل إن نناقش هذه القضيّة تتحدث عن مذهب القرامطة ، لعل هذا يلقى ضوءاً على ما يقوله ، فإن مذهب القرامطة ، وثوراتهم الدامية وكثرة أتباعهم ومحاربتهم الخلافة العباسية ، وإتيانهم من الأفعال ما يجعلهم كفارا مارقين عن الدين والعقيدة ، يثير كثيراً من الأسئلة المحيرّة ، فالمؤرخون – يربطون بين نشاطهم ، وبين مذاهب الشيعة والإسماعيلية منهم بوجه خاص ، وهو أمر ينطوى على كثير من الشبهات التى تشير إلى أن الشيعة كانوا يرون غيرهم من المسلمين وأعنى بهم أهل السنّة كفاراً ، لأنهم يتبعون مذهبا يفرض عليهم طاعة العباسيين الذين سلبوا آل علىّ الخلافة ، وهي حق لآل على فى عرفهم ، عندما انتزعها العباسيون بعد زوال ملك الأمويين .

وعرف القرامطة بأنهم كانوا يقتلون بلا رحمة ، ويسبون النساء ويستولون علي الأموال عن طريق السلب والنهب والإغارة ، وسيلتهم فى ذلك ، ولم يكن لهم عهد ولا ميثاق . ويبدو أن القرامطة حققوا كثيراً من الانتصارات على السلطان المركزى فى بغداد معتمدين على أئمة يدّعون التقوي والصلاح بين العامّة ، فإذا نالوا ثقتهم انطلقوا من هذا إلى الدعوة إلى المهدى المنتظر ، وحاولوا بث بعض الأفكار التى تؤول العقيدة الاسلاميّة إلى ظاهر وباطن ومن خلال هذا التأويل كانوا يستدرجون البسطاء إلى مذهبهم . والمهدى المنتظر ، الذى كان القرامطة يدعون إليه وجدله أتباعا فى البدو وفى زراع السواد بالعراق ، وبين قبائل اليمن بالذات . وقد صاروا قوّة يحسب لها ألف حساب ، وقد هددوا عاصمة الخلافة العباسية نفسها ، فضلا عن تهديدهم الحجاج [1] حتى منعوا الناس من الحج عدة مرات ، وقتلوا من الحجاج مقتلة عظيمة .

وهذا كله يثير مسألة العقائد الدينية للقرامطة ، فلابد أنه كانت لهم عقيدة ما ، وأنهم كانوا يدعون إليها بطريقة تستميل البسطاء من الناس أو محدودى الثقافة والإدراك [2] ، الذين لايلبثون أن يصبحوا مدافعين عن تلك الحركة دفاعا غريبا ، ويحققون انتصارات على جنود الدولة وقوادها

---

(١) انظر محمد الخضرى بك . الدولة العباسية . تحقيق الشيخ محمد العثمانى . دار القلم . بيروت . لبنان ١٩٨٦ ص ٢٧٠ حيث يقول : « ومن أخبث ما فعلوه سنة ٢٩٤ هـ أنهم أغاروا علي قوافل الحج الآيبة من مكة إلي المشرق وخراسان ، والعراق فلم يتركوا من هؤلاء الحجاج من يخبر بخبر ، وأخذوا من الأموال شيئا عظيما .

(٢) أخبار القرامطة . جمع وتحقيق ودراسة . الدكتور سهيل زكار طبعة ٢ . دار إحسان للطباعة والنشر ص ٢٠٣ – ٢٥١

إلى هجر ، وترك الحجاج فى مواضعهم ، فمات أكثرهم جوعا وعطشا من حر الشمس ، وكان عمر أبى طاهر حينئذ سبعة عشر عاما" (١) .

وقد هاجم أبو طاهر القرمطى مكة فى يوم التروية ونهب أموال الحجاج ، وقتلهم فى المسجد الحرام ، وقلع الحجر الأسود ، وأرسله إلي هجر وقلع باب البيت الحرام وألقى القتلى من الحجاج فى بئر زمزم ، ولم يصل على أحد منهم ، ولم يغسله ، أو يكفنه ، ثم أخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة (٢) .

والغريب أن القرامطة كانوا ينتصرون مع قلّة عددهم في أحيان كثيرة ، علي جيوش الخلافة العباسيّة ، وهو نصر يبدو طبيعيا إذا نظرنا إلى ما كان يجرى من صراع علي السلطة بين من يحيطون بالخلافة العباسيّة من وزراء وقواد (٣) .

ويبدى بعض المؤرخين أسبابا سياسيّة لتعاظم خطر القرامطة ، فيقول «... وكان الذى أعانهم علي ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الأعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر ، وتلاف الرجال وفساد البلدان ، فتمكن هؤلاء وبسطوا أيديهم فى البلاد وعلت كلمتهم» (٤) .

وهو ما يشير إلى فساد الأحوال الاقتصادية والسياسيّة ، واختلال الأمن ، وعدم العناية بالعمران ، وما ينذر بسقوط الدول وانحلالها . والغريب أن تمتد حركات القرامطة إلي ما بعد سنة ٣٦٠ هـ ، وأن تعم بلاداً أخرى غير العراق .

ويرى الدكتور طه حسين فى ثورة الزنج بالبصرة ثورة لتحقيق العدل الاجتماعى ، معتمدة فى ذلك علي مبادىء الخوارج مستدلا بأن صاحب الزنج قد كتب علي رايته بالخضرة والحمرة الآية الكريمة : (إن اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة . يقاتلون فى سبيل اللّه فيقتُلُون ويقتلون) (٥) ويصور ما يتمتع به صاحب الزنج من شخصية فذة قويّة - فى رأيه - مبينا

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٧ وانظر المرجع نفسه ص ٣٣٤ حيث يذكر أن أبا طاهر قتل ١٣ ألفا من الحجاج ، وقطع الركن يوم النحر . وقال شعرا يتطاول فيه علي اللّه تعالى .

(٢) الدولة العباسية . مرجع سابق ص ٣٩٤

(٣) أخبار القرامطة . مرجع سابق ص ٣٩ - ٤٤

(٤) المرجع نفسه ص ٣٣٣

(٥) طه حسين . ألوان . مرجع سابق ص ١٦٥ . وانظر أيضا دكتور درويش الجندى . الرمزية فى الأدب العربى =

قبل مقتله مرتين (١) . وتنشأ الخلافة الفاطمية سنة ٢٩٦ هـ ، ويستولى البويهيون على بغداد ٣٣٤ هـ ، ويستولى الإخشيديون على حكم مصر ٣٢٣ هـ ، كما يؤسس الحمدانيون دولتهم فى شمال الشام بعد صراع مع الإخشيديين ، انتهى بأن صالحهم الإخشيد على تركهم في حلب وشمال الشام ، ومنعهم من الاستيلاء على دمشق .

ومن الأمور الظاهرة كذلك أن من كانوا حول الخليفة ، ويعرفون من أمور الخلافة ما يعرفون من ضعف ، كانوا ينتهزون الفرصة لتحقيق أطماعهم . فابن رائق مثلا . كان واليا على البصرة فامتنع عن تقديم أية أموال للسلطان (٢) وكان ابن بوية قد تغلب على فارس . وقطع البريدى أحد ذوى الطموح عن الخليفة ما كان يقدمه من مال (٣) وهنا استعان الخليفة الراضى (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) بمحمد بن رائق ، واستقدمه من واسط ، وجعل فى يده مقاليد أمور الخلافة ، ولقبه بأمير الأمراء (٤) ، وولاه الخراج ، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر ، وأصبح ابن رائق هو الخليفة الفعلي ، وبيده السلطان كله (٥) . ولكن الصراع بين ابن رائق والطامعين فى منصبه يستمر ، وتظهر شخصيات أخرى على مسرح الأحداث مثل «بجكم (٦)» ويقتل ابن رائق غيلة على يد ناصر الدولة بن حمدان ، ويحل محله فى منصب أمير الأمراء . فى عهد المتقى (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ) (٧) . بل إننا لا نغالى إذا قلنا إن استقلال الدويلات ، كان بسبب ضعف الخليفة من جهة وطموح الطامحين إلي تحويل السلطان لأنفسهم .

وهذا يعنى أن المتنبى عندما قام بثورته ، إن صح أنه قد ثار فعلا ، وكان ذلك فى سنة ٣٢٣ هـ تقريبا ، كانت سنه لاتزيد على العشرين سنة أولا تتجاوزها بكثير ، وهى سن لا تسمح له بقيادة الثورات أو استهواء الغير ، ويغلب على الظن أنّه وشى به يقول أنه وهو فى سجنه :

وقيل عدوتُ على العالمِيـ	ـن بين ولادى وبين القعود
فمالك تقبل زور الكلام	وقدر الشهادة قدر الشهود

---

(١) محمد عبد الرحمن شعيب . المتنبى بين ناقديه ص ٢٠ ، انظر الشيخ محمد الخضرى . الدولة العباسية ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ حيث يصور الطريقة التى قتل بها ، ويبين أنها كانت نتيجة للصراع بين مؤنس المظفر القائد العام للجيوش وبين محمد بن ياقوت .

(٢) ، (٣) الدولة العباسية ص ٤٠٥

(٤) ، (٥) المرجع السابق ص ٤٠٦

(٦) المرجع نفسه ص ٤٠٨

(٧) المرجع نفسه ص ٤١٤

فما الأشعار التى يعتمد عليها طه حسين فى إثبات تلك القرمطية ، إنها الأبيات الثلاثة التالـية :

إلـى أيّ حين أنـت فـي زيّ مُحـرِم	وحتى متى فى شـقـوة وإلـى كـم ؟
وإلا تمت تحت السيوف مكرّماً	تَمُتْ وتقاسى الذُلّ غير مكرَّم
فثب واثقـا بالله وثبة ماجد	يرى الموت فى الهيجاجنى النحل فى الفَم (١)

ويعلق على الأبيات تعليقا طويلا نقتطع منه قوله : « ليس عندى من شك فى أن هذه الأبيات تصور ما عاد به الغلام من البادية بعد أن عاش فى بيئتها الخشنة المقتنعة بالمذهب الجديد ، المنتظرة من وراء هذا المذهب وانتشاره الخير كلّ الخير ، وتصور كذلك ما عاد به الغلام من البادية من هذه الرصانة التى ترفع اللفظ عن الإبتذال ، وتكسبه عذوبة نحس فيها ريح الصحراء» (٢) . ومع أن طه حسين يجزم بقرمطية المتنبى ، وكأنها حقيقة ، لاخلاف عليها ، فإننا نراه فى الصفحة السابقة ومطلع هذه الصفحة ينكر أن يكون بوسعه أن يقطع بشىء مما يقول ، فلا هو متأكد من سبب رحيله إلى البادية ، وهل كان لطلب العلم باللغة والتمساً للصحّة ، أم ذهب إليها التماسا للقرمطية ، ويعود فيؤكد أنّه لا يستطيع القطع بشىء مما افترضه (٣) ولكنه يعود من جديد إلى تأكيد ما شك فيه ، زاعما أن المتنبى ، قد درس مذاهب القرامطة النظرية والعملية جميعها أو عرفها (٤) . ثم يعود مرّة أخرى للحديث عن قرمطية الشاعر التى أصبحت من الحقائق المؤكدة لديه ، بعد أن التمس لها بعض الأدلة أو الشواهد غير القاطعة بتلك القرمطية من شعره (٥)

فالمتنبى فى رأيه - قد ذهب إلي البادية ثم اعتنق مذاهب القرامطة ، ولم يعد من البادية وحده ، إنما عاد وبصحبته داع من دعاة القرامطة ، ويرجح أن هذا الداعى كان أبا الفضل الكوفى الذى مدحه المتنبى . بل هو لايستصحب داعيا واحدا وإنما دعاة ليستقروا في الكوفة للدعوة لمذهبهم ثم يعلق على هذا الكلام بقوله : «ومهما يكن من شىء ، وسواء واتتنا النصوص التى بقيت

---

(١) المرجع نفسه ص ٤٢

(٢) المرجع نفسه ص ٤٤ وهو ما يتفق إلي حد كبير ورأى بلاشير في أن المتنبي عاد من البادية معجبا بآراء القرامطة متخذا من آرائهم مذهبا له (انظر مجلة المورد العراقية عدد ٣ ، مجلد ٦ ، ١٩٧٧ ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) المرجع نفسه ص ٤٢ ، ٤٣

(٤) ، (٣) المرجع نفسه ص ٤٣

(٥) المرجع نفسه ص ٤٥

داعية من دعاة القرامطة ، فى هذا القسم الشمالىّ من سوريا ، الذى لم يكن قد أدركه الاضطراب القرمطى ، كما أدرك غيره من أقسام الشام» (١) .

ويمضى طه حسين إلى أبعد من ذلك فيرى أن المتنبى وأباه قد تورطا مع القرامطة أثناء غزوهم للكوفة ، فلما رحلوا عنها - أى القرامطة - كان لابد أن يرحل المتنبى وأبوه منها كذلك فرارا من السلطان ، وهو يرجح هذا الرأى لأنّه يرى أن المتنبى لم يبق ببغداد طلبا للعلم ، ولم يتصل بمن بها من العلماء والأدباء وأصحاب المكانة السياسيّة . ولكنه ذهب إلى مركز قوى من مراكز القرامطة ببغداد ، فأخذ منه التعليمات ورحل إلى الشام للدعوة للقرامطة هناك ، لأنه لو أراد الهرب لكان له فى الصحراء متسع (٢) . ويرجح تلك الآراء لأنها تلائم رأيه فى نشأة المتنبى كلها ، وأيضا لأن إقامة المتنبى فى بغداد لم تكن إقامة دائمة أو متصلة (٣) ، وهو لذلك يعرض القضيةُ على النحو التالى : « والأرجح - كما قدمت - أن المتنبى عاد من البادية مع بعض دعاة القرامطة ، واشتغل في الكوفة بنشر الدعوة القرمطية ، وأن المتنبى سافر من الكوفة بعد جلاء القرامطة ، فقصد بغداد لأمر يتصل بالدعوة ، ولست استبعد ، بل أرجح جداً أن يكون فى بغداد مركز قوى من مراكز الدعوة القرمطية ، ذهب إليه المتنبى فأدى شيئا ، وتلقى منه شيئا ، وترك بغداد قاصدا إلي الجزيرة ثم الشام» (٤) .

وهكذا يبنى الباحث قرمطية المتنبى على هذه الترجيحات والظنون ، فإذا رحل المتنبى من الكوفة إلى بغداد كان ذلك فراراً من السلطان لتورطه هو وأبيه في معاونة القرامطة وربما فى الإغارة والتخريب فى الكوفة ، وإذا دخل بغداد فلم يبق بها طويلا ، كان ذلك لأن مركزا من مراكز القرامطة في بغداد قد كلفه الدعرة للقرامطة فى الشام . وهذه الأسباب يمكن رفض أولها وهو مغادرته للكوفة ، بأن الكوفة وبخاصة فى ظل تخريب القرامطة وغاراتهم لم تكن بالمكان الصالح لبقاء المتنبى الشاعر ، فخرج منها باحثا عن رزقه وهو لم يكن أحسن حالا في بغداد ، وطه حسين نفسه يقول عن بغداد : «وأنا اعلم أن اضطراب الخلافة فى بغداد ، وتسلط الترك علي الدولة قد غض من أمر الشعر ، وقصر من همم الشعراء ، وأن بغداد لم تكن في القرن الرابع غنيّة بالشعراء المجيدين ، كما كانت فى القرن الثانى والثالث» (٥) .

---

(١) المرجع نفسه ص ٤٦ ، ٤٧
(٢) المرجع نفسه ص ٤٦
(٣) المرجع نفسه ص ٤٧
(٤) المرجع نفسه ص ١١٤
(٥) المرجع نفسه ص ١٨١

وربما لكساد سوق الشعر بها . أما طلب العلم في بغداد ، فما أشار أحد - فيما نعلم - إلى أنه تلقى العلم بها بعد أن خرج من الكوفة ، ولا كيف كان يتلقاه قبل أستاذنا .

ويستدل طه حين علي قرمطية المتنبى بضعف الوازع الدينى ، أو الانحراف الدينى عنده ، كقوله بالحلول أو بغيره من مذاهب الصوفية والمتفلسفة ، وذلك لقوله الأبيات التالية التي مدح بها أحد الصوفية وعلى طريقتهم :

يا أيهـا الملك المُصـفّى جوهـرا ... من ذات ذى الملكوت أسمى من سما
نـور تظـاهـر فيـك لاهوتيـة ... فتكـاد تعـلم علـم مالـن يعلـمـا
ويهم فيـك إذا نطقـت فصاحـة ... من كـل عضـو منـك أن يتكلمـا

أنـا مُبْصـرٌ وَأظـنُّ أنـّى نائـمٌ ... مَـنْ كانَ يَحـلُمُ بالإلـه فَأحْلُـمَا
كَبـُرَ العيـانُ علـىَّ حـتى إنـَّهُ ... صَارَ اليقـينُ من العيَانِ تَوَهُّماً (١)

وإذا كان طه حسين يسخر من محمود شاكر دون ذكر اسمه لأن الأخير رأى أن المتنبى درس في كتاب يدرس فيه أولاد العلويين خاصّة ، ولا يسمح لابن رجل مغمور كعيدان السقاء والد المتنبى أن يدرس فيه معهم ، واستنتج محمود شاكر من دراسة المتنبى بهذا الكتاب أنه - أى المتنبى - ابن لأحد أشراف العلويين . وهو في سخريته تلك لا يشير إلي اسم الرجل بل يشير إلى من يسميهم المتأخرين والمحدثين منهم خاصّة يبالغون فيا يتصل بنشأة المتنبى بين الشيعة ، وتعلمه مع أبناء العلويين (٢) ، ويأخذ عليهم أنهم يظنون أن ذلك الكتاب كان مدرسة ارستقراطية ممتازة ، وأنهم يرسلون لأنفسهم العنان فى تفسير ذهاب المتنبى الصبى إلى تلك المدرسة العلويّة الارستقراطية ، ويفسرون ذلك تفسيرات مختلفة (٣) .

وعلى أية حال فلم يكن طه حسين الوحيد الذى أشار إلى قرمطية المتنبى ، فقد ذهب بلاشير إلى ما كان بين الشاعر وبين أبى الفضل الكوفى الذى أثر فى عقيدة المتنبى وفلسفته تأثيرا كبيراً ، بل ويشير إلى نبذ المتنبى للعقائد الدينية التى كان يراها أداة للظلم حسب زعم بلاشير (٤) . ونلاحظ أن بلاشير يربط بين بيئة المتنبى التى انتشر فيها القرامطة ، ودعوتهم كما

---

(١) المرجع نفسه ص ٤٤ ، ٤٥ .
(٢) المرجع نفسه ص ٣٤ ، ٣٥ .
(٣) المرجع نفسه ص ٣٤ .
(٤) بلاشير "أبو الطيب المتنبى" دائرة المعارف الإسلامية جـ١ ترجمة محمد ثابت الفندى وآخرين ص ٣٦٤ .

والباحث برغم أنه لا يقطع بقرمطية المتنبي يربط بين ثورته في الشام وبين ثورة القرامطة أو أساليبهم في الثورة ، ويشير إلي أن تلك الثورة التى قام بها المتنبى فى اللاذقية ، وذلك - في رأيى - يعود إلي ما ذكره البديعى عن معاذ اللاذقى الذى روى قصة نبوة المتنبى ، والذى آمن بدعوة المتنبى هو وقبيلته ، تلك الدعوة التي عمت بلاد الشام كما يزعم . وهى قصة مشكوك في صحتها [1] . وقد مضى «جومس» غير متيقن مما يقول حيث يمزج الشك باليقين الذى يظهر من قوله «فمن المؤكد تقريبا» ، إلى القول : «ومهما يكن التشويه الذى تعرضت له الوقائع فيما بعد ، فمن المؤكد تقريبا ، أنه تظاهر بتحقيق معجزات وكرامات ، حتى إنهم زعموا له تحرير قرآن جديد ، في نثر ، وباختصار اعتبر نفسه نبيا جديدا ، وقد وجد التشجيع من تابعيه الأولين ، واندفع إلي الميدان ملتهب الحماسة إلى العمل» [2] .

ومع أن جومس يعترف بأن شعر المتنبى لا يحمل إشارات صريحة بإلحاد أو كفر ، أو عقيدة أو تدينا ، فإنه يرى أنه كان للقرامطة تأثير مباشر فى أفكار المتنبى ومغامراته . وسوف نرى أن باحثين آخرين سيرفضون هذه القرمطية .

فالدكتور شوقى ضيف يرى أن المتنبى لم يكن قرمطيا ، وأنه إنما قام بثورة سياسية ، فيقول [3] : «ومضى إلى اللاذقية ، وهناك اعتزم أن يعلن ثورته بين أمشاج من البدو ، كانوا ينزلون شرقيها ، وما زال يؤلبهم ، حتى اجتمع له كثيرون منهم لسنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، أو لسنة أربع وعشرين ، وتكاثفوا وضخم عددهم ، وكان طبيعيا أن يفزع أصحاب السلطان فى تلك الجهات حين ترامى إليهم نبأ هذه الثورة» [4] .

وكان الناقد القديم على بن عبد العزيز الجرجانى (٢٩٠ - ٣٦٦ هـ) قد عجب ممن يغض من أبيات لأبى الطيب يظن أنها تدل على ضعف العقيدة أو فساد المذهب فى الديانة [5] ثم يعقب على ذلك برأيه الشهير : «فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ،

---

(١) انظر محمود محمد شاكر . المتنبى جـ ١ . حيث يرفض ما ذكره معاذ اللاذقى ص ٨٧ - ٩١
(٢) مع شعراء الأندلس والمتنبى . مرجع سابق ص ٢٢ .
(٣) شوقى ضيف . فصول في الشعر ونقده ص ٧٩ ، وهو رجوع عن رأى سابق له كان يقول بقرمطية المتنبى . انظر كتابه الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ط ٨ . دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٤ص ٣٠٤ .
(٤) فصول في الشعر ونقده ص ٨٤ .
(٥) الوساطة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وآخرون . دار القلم بيروت لبنان د. ت ص ٦٣ .

وأما الأساليب القرمطية التي يشير إليها ففي ظني أنها تتمثل فيما يريد أن ينشره المتنبي من ذعر لا بين العامّة ، وإنما بين الملوك وذلك في قوله :

أيملك الملكَ والأسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضم
من لو رآني ماءً مات من ظمأ ولو مثلت له في النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصى من ملوك العرب والعجم (١)

ويظهر غموض ما يطلبه المتنبي وما يريد الثورة من أجله من قوله :

ذكرت جسيم ماطلبي وأنا نخاطر فيه بالمهج الجسام

فالأمر الجسيم الذي يطلبه غير معروف ، ويلفه الغموض ، كما أن تحرّقه للحرب والقتال ، وإراقة الدماء ، غير مفهوم ، والمثال القريب الذي يمكن أن يقارن به هو ثورة القرامطة الدموية التخريبيّة .

ويمكن القول إن آراء طه حسين فيما يتعلق بقرمطية المتنبي بل وبغيرها من أمور حياته الأخرى ، لا تعتمد على سند من التاريخ ، وإنما تعتمد على الخيال ، أو الفروض التي لا سبيل إلى التأكد من صحتها . ويذهب الدكتور إبراهيم عبد الرحمن إلى أن حياة المتنبي كما صورها طه حسين ليس لها قيمة تاريخيّة ، فهو يقدمها في صورة روائية ، ولذا تصبح قيمتها فنيّة خالصة ، ويغلب عليها الخيال (٢) .

ونميل إلى أن المتنبي لم يكن قرمطيا ، وإنما اتهم بذلك لأسباب لعلها ولعله بذكر الحرب والدم ، وطموحه ، وحديثه عن الثورة . وعن مجد غير معروف يريد أن يحققه وقد أكثر الباحثون القول في هذا الموضوع – وليس غريبا أن يطمح المتنبي وقد وجدنا الدولة الإسلامية مفتتة في زمنه ، وأن بعض الطامحين كانوا يكونون إمارات أو دويلات ، بعد أن يكونوا لأنفسهم أتباعا ، فالمتنبي يرى مثلا سيف الدولة يكون دويله بمجهوده وبمعاونة قبيلته ، وبعض القبائل العربية ، بما يكاد يكون مجهودا فرديا ينسب إليه وحده ، ولذلك سرعان ما سقطت دويلته بعد وفاته . ولكن مشكلة المتنبي كانت تكمن في أنه كان محتاجا إلى أتباع وليست له قبيلة كتغلب تحميه وتعينه بل لابد أن يجمع خلفه قوما آخرين يؤيدون ثورته إن أراد الثورة لتحقيق مطامحه . ولعله قد ثار ثم فشل فسجن .

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٣ ، ٤٤
(٢) المصدر نفسه ص ٤٥

فيها بسيف الدولة ؟ والدليل على ما نراه من الطبيعة الخاصة وغير الإسلامية لقصائد المتنبى فى سيف الدولة أنّ قصائده على كثرتها لا نجد بها إلا ستة عشر بيتا تقريبا تتوزع قصائده فيه وتأتى عرضا لينصرف الشاعر بعدها لمديحه . والخلاصة أن هذه القصائد ليست ذات صبغة إسلاميّة ، وإنما هى قصائد تمدح حاكما عربيا بالشجاعة . ومن أمثلة تلك الأبيات - ذات الصبغة الدينية - قوله :

فمن كان يرضى اللؤم والكفر ملكه	فهذا الذى يرضى المكارم والربّا (١)

أو قـــولـه :

هنيئا لأهــل الثغــر رأيـك فيهـم	وأنك حزب اللّـه صرْتَ لهم حزْباً (٢)

ثم تخلص القصيدة لمدح سيف الدولة ، والمثال على ذلك من تلك القصيدة قوله مثلا :

ســـراياك تتــرى والدمســتق هــارب	وأصحــابه قتلــى وأمــوالـه نُهبــىَ
أتى مرعشـا يستقرب البعـد مقـبلا	وأدبر إذا أقبلـت يستبعـد القـُرْبَا
كذا يترك الأعداء من يكره القنـا	ويقفــل مــن كــانت غنيـمتـه رعــبا
وهـــل رد عنـــه باللــقــان وقوفـُـه	صدورَ العوالـى والمطـهَّمَــة القُبــُّ
مضى بعد ما التف الرماحان ساعة	كما يتلقّى الهدبُ فى الرقـدة الهُـدْبَا
ولكنــه وَلــّى وللطعـن ســــورة	إذا ذكـرتهـــا نَفسُـــهُ لمس الجــنبا
وخلّى العـذارى والبطـاريق والقـرى	وشُعْثَ النصارى والقرابين والصلـبا
أرى كلنـــا يبــغى الحـــياة لنفسه	حريصـا عليها مستهاما بهـا صبًّا (٣)

وليس هدفنا عيب شعر المتنبى ، وإنما هدفنا الكشف عن طابعه ، الذى يغلب عليه المدح بمفهومه الضيق وهو الإشادة بالممدوح فى شخصه ، ممع العلم بأن المادحين كانوا دائما يخلعون على الممدوح صفات دينيّة ودنيويّة محببة ، إذا كان حاكما أو خليفة أو واليا . ولكننا نجد هذا الجانب الدينى ضئيل جدا فى مدحه لسيف الدولة ، وبخاصّة فى قصائده فى حرب الروم ، التى كان يمكن أن تتحول إلى قصائد جهاد فى سبيل الله ، مصورة النصر بأنه من الله تعالى أولا

= ضعف عقيدة المتنبى جعلت مدائحه لسيف الدولة لا يرد بها إلا بعض إشارات الى الدين تقليدية . ضمها السياق ، ولكنها لا تعبر عن عاطفة دينية ولا عقيدة للشاعر .

(١) ديوان المتنبى حـ ١ ، شرح العكبرى ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٢ - ٦٥

من بعـدما أشبوها واثقين بهـا		والله مفتاح باب المعقل الأشب

ثم يقــول :

عَداكَ حرُّ الثغورِ المستضامة عن		بردِ الثغورِ وعن سلسالها الحَصِب
حتى تركتَ عمودَ الشركِ منعفراً		ولم تعرّج على الأوتادِ والطُّنُب
خليفة اللهِ جازى اللهُ سعيَكَ عن		جُرثومةِ الدّين والإسلامِ والحسَب
إنْ كانَ بَيْنَ صروفِ الدهرِ من رَحِمٍ		موصولةٍ أو ذمامٍ غيرِ منقضبِ
فبينَ أيامكَ اللاتي نُصِرتَ بها		وبينَ أيامِ بدرٍ أقربُ النسبِ
أبقتْ بني الأصفرِ المراضِ كاسمِهمُ		صُفرَ الوجوهِ وجلّتْ أوجهَ العربِ (٢)

فالقارىء يلاحظ أن قصيدة أبى تمام صريحة فى أن الحرب بين المسلمين وبين أعدائهم هى حرب ، وهى حرب بين الإسلام ، والكفر ، أو بين العرب المسلمين ، وبين بنى الأصفر المشركين . وهذه الحرب فتح ، بل هى فتح الفتوح ، ثم هو يربط بين وقعة عمورية وغزوة « بدر » بل إن الخليفة منصور بنصر الله ، وطاعته .

ويذهب الأستاذ عبده بدوى إلى أن قصيدة « فتح عمورية » لأبى تمام ، وإن كانت فى مدح الخليفة المعتصم ، إلا أننا لا نتعرف على ملامح شخصية ذلك الخليفة فالشاعر لا يقدم الخليفة الجهير الذى نعرفه فى التاريخ ، وإنما يقدم لنا المثل الأعلى للنصر (٣) ، ونضيف إلى ما قاله أن المعتصم ليس محور القصيدة عند أبى تمام كما كان سيف الدولة محور القصيدة عند المتنبى فى سيفياته فهو لا يذكر الخليفة إلا بدءاً فى البيت الخامس والعشرين وهو قوله :

لقد تركت أمير المؤمنين بها		للنار يوما ذليل الصخر والخشب

وبضعة أبيات أخرى لاتتجاوز سبعة عشر بيتا من القصيدة التى يبلغ عدد أبياتها واحدا وسبعين بيتا . ثم لا يذكره بعد ذلك فى نهاية القصيدة والذى يبلغ عدد أبياته سبعة وعشرين بيتاً إلا فى خمسة أبيات . والمعانى التى يتناولها أبو تمام فى هذه القصيدة ، قلّما نجدها ، بل لا نجدها فى شعر المتنبى فى مدح سيف الدولة وهو يحارب الروم . ولكننا نجد بعض أبيات فى قصيدة يعتذر فيها له عن أنه لن يعود إليه خوفا من الوشاة ، وذلك بعد مغادرة المتنبى مصر والقصيدة مطلعها :

(١) المصدر نفسه ص ٥٨ - ٦٠
(٢) المصدر نفسه ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٣
(٣) دكتور عبده بدوى . أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر . الهيئة المصرية العامة للتأليف . القاهرة ١٩٨٥ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وقد ترد أربعة أبيات فى قصيدة عدد أبياتها ٤٦ بيتاً ، وهى القصيدة التى مطلعها :

عَلَى قَدْرِ أهْلِ العزْمِ تَأتى العَزائمُ ... وتأتى علَى قَدْرِ الكرَامِ المَكَارِمُ (١)

كقـــولـه :

طَرِيـدَةُ دَهـــرٍ سَاقـَــهَا فَرَدَدْتَـــهَا ... على الدّينِ بالخطىِّ والدهرِ راغمُ (٢)

وَلَسـتَ مـليـكاً هَازِمــاً لِنظيــــره ... ولكـنك التَوحيـد للشـرْكِ هَــازِمُ (٣)

هَنيئاً لضرب الهامِ والمجـد والـعُلاَ ... وَرَاجيكَ والإسـلامِ إنـكَ سَالــمُ (٤)

ولـم لا يقى الرَّحـمْنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى ... وتفليـقُهُ هـَامَ العـدَابك دَائـمُ (٥)

فهو يورد هذه الأبيات مفرقة ، ولكن جوّ القصيدة العام ليس جوا دينا غالبا بل هى أبيات ، قد يكون فى القصيدة بيتا أو بيتين فى الغالب ، فهو مثلا فى قصيدة عدد أبياتها خمسة وخمسين بيتا لا يذكر شيئا لا عن الدين ولا عن الإسلام إلا قوله :

مُقَلَّداً فوق شـكر اللّـهِ ذا شُطَبٍ ... لاتستدامُ بأمْضى منْهُمَا النِّعَـمُ (٦)

ولا يذكر فى قصيدة أخرى إلا بيتين هما قوله :

خَضَعَتْ لمنصُلكَ المناصلُ عَنْوَةً ... وأذَلَّ دينـكَ سـائرَ الأدْيـانِ (٧)

والطُرقُ ضَيـقَةُ المسَالكِ بالقَنَا ... والكفرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الإيمـانِ (٨)

ولعل هذا هو الذى جعل الباحثين يختلفون حول الطابع الدينى لتلك الحرب التى دارت رحاها بين سيف الدولة وبين الروم ، فبينما يراها بعضهم ذات صبغة دينيّة وحربا صليبيّة ، سابقة على الحرب الصليبية المعروفة ، وجهادا فى سبيل الله (٩) ، يراها بعضهم الآخر ، حربا غير دينية ، وأن النزعة الدينية عند الحمدانيين وسائر المسلمين جميعا فى ذلك العصر كانت تأتى فى مرحلة

---

(١) ديوان المتنبى حـ ٣ ص ٢٧٨
(٢) المصدر نفسه ص ٢٨٢
(٣) المصدر نفسه ص ٢٩١
(٤) ، (٥) المرجع نفسه ص ٢٩٢
(٦) ديوان المتنبى جـ٤ ص ٢٥
(٧) المصدر نفسه ص ١٨٠
(٨) المصدر نفسه ص ١٨١
(٩) الدكتور مسعود محمد الجابر . الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني ، مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٨٢ ص ٢٨

وهو يرى أن هـذه الثورات وأمثالها إن هى إلا ثمرة للعصر ، لا لثورة القائم بها ومدبرها وحده . وهو وأن كان يرى هذا الرأى أثناء حديثه عن ثورة الزنج التى وقعت فى البصرة ، فإنه يرى الرأى نفسه ، منطبقا على غيرها من الثورات السياسية والاجتماعيّة ، فلابد أن ينشأ عن أية ثورة لتحقيق ذلك العدل هول لا يقبله العقل ولا يرضاه الخلق (١) .

ويدافع طه حسين عن قائد ثورة الزنج ، ويرى أن المؤرخين قد شوهوا صورته ، ونسبوا إليه أشياء كثيرة ، لم يرتكبها (٢) . والذى يهمنا من هذا كله أن طه حسين يرى أن ثورة القرامطة ، كانت ثورة سياسية تطالب بالعدل الاجتماعي ، وأن تأثير تلك الثورة قد امتد من الكوفة إلي العراق كلها ، والشام ومصر (٣) . ولعل هذا ما يجعله يرى أن المتنبى كان قرمطيا عند ما أحدث ثورته بالشام .

ويشير بلاشير بإيجاز إلى موقف المؤرخين من ثورات ذلك العهد إشارة سريعة ، فيرى أن كل ثائر في ذلك الوقت كان يعتبر قرمطيا (٤) . كما يشير إلى أن ثورات ذلك العهد كانت ذات صبغة دينية وسياسية معا (٥) ، ولعله يقصد بالصبغة الدينية الاتجاه الشيعى أو الدعوة لآل علىّ أو الانتساب إليهم . وهو بهذا يتفق مع طه حسين الذى يرى أن ثورة الزنج . وثورة القرامطة كانتا تقومان على أن زعيمى الثورتين ينتسبان إلى آل على (٦) .

---

(١) نفسه ص ١٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٦ .

(٣) نفسه ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٤) ، (٥) دائرة المعارف الإسلامية حـ ١ ص ٣٦٦ .

(٦) طه حين ألوان . مرجع سابق ص ١٨٣ .

تعصب المتنبى للعرب

يتصل بعلوية المتنبى لدى محمود شاكر تعصبه للعرب، ومحاولته رد سلطانهم المسلوب إليهم ويبين النص التالى موقف الكاتب إذ يقول : «وكأنى بالمتنبى فى طريقه يظهر فى القبائل والمدن أمر نسبه، ويذيع بينهم أنه علوى الأصل شريف النسب، محتالا لذلك بالدهاء، مجتهداً فى اتخاذ العضد قبل أن يعلن أمره إعلانا صريحا، لئلا يواقعه العلويون، وينزلوا به كيدهم الذى يكيدون له، دار دورته فى البلاد التى ذكرناها، وأمره إلى علو، لما عرف من فصاحته وبلاغته، وحسن سمته، وجمال هديه، وتوقد ذكائه، وما يمتاز به من حسن المعاشرة، ولطيف المنادمة، مع سعة العلم، ودقّة الفهم له، وكان فى القبائل البادية أظهر أمرا، وأشد عضدا، حتى كان آخر أمره ببنى عدى، وبنى كلب ففشا ذكره بينهم، وبايعوه علي العون له، فى الدعوة إلى رد الحكومة إلي العرب دون الأعاجم، وكان ظهوره في بنى عدى هو الذى جلب عليه السجن والشقاء» (١) .

والنص السابق يكشف عن أمرين : دعوة المتنبى لنفسه باعتباره علويا، وميله إلى العرب وبذله الجهد لرد الحكومة والسلطان إليهم . ومما يؤكد ميله إلى العرب ظهوره فى بنى عدى، وذلك إذ مدح سيف الدولة سنة ٣٢١ هـ (٢) . ويرى بالا شير أنه لم يلتق به إلا فى سنة ٣٣٧ هـ (٣) .

وقد أولى محمود شاكر المتنبى - وهو شاعر لا نصير له من قبيلة كبيرة أو أتباع - أهمية تفوق ما كان يمكن للمتنبى أن يحققه، فهو يظهره بمظهر القوى الذى يتوقع منه الحكام الشر المستطير، ويتابعونه بعيونهم حيث حل، ويدركون فلسفته فى توحيد العرب لاسترداد سلطانهم السليب، بل يعلمون أنه يساعد الحمدانيين في توحيدهم للعرب، بل إن بعض الحكام كالإخشيديين كان يعتبره صنيعة للحمدانيين، يهدف إلى القضاء على مطامع الإخشيديين فى الشام .

ولايخافه الإخشيديون وحدهم بل يخشاه كذلك دعاة الفاطميين فى الشام للسبب نفسه الذى كان يخشاه من أجله الإخشيديون، وهو كونه عميلا لسيف الدولة الذى رفض الانصياع للدعوة

(١) محمود شاكر . المتنبي حـ ١ ص ١٠٢

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٢

(٣) انظر بلا شير مجلة المورد العراقية . العدد ٣ . مجلد ٦ . ص ٥٧ حيث لا يشير فى الترتيب الابجدى أو التاريخى للقصائد إلى أن أول قصيدة فى سيف الدولة هى القصيدة التى مدحه بها سنة ٣٣٧ والتي مطلعها :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بان تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

وانظر الديوان حـ ٢ ص ٣٢٥ .

العلويون المتنبى ، وهو واحد منهم وابن أحد سادتهم ، ما دامت علويته غير مكنوية ؟

ويستبعد أن يكون المتنبى ادعّى النبوة ، ولكنه حبس بسبب علويته تلك . فى حين أن المنطق يرى أنه سجن للسياسة لا لغيرها . ولأن الباحث يرى أن المتنبى علوى وسيف الدولة علوى أيضا ، فلابد إذن أن يكون له دور أكثر من مجرد دور الشاعر المادح ، فقد اتفقا هو وسيف الدولة على سياسة واحدة تجاه ما يحيط بالدولة الحمدانية ، كأن المتنبى قد أصبح مستشارا لسيف الدولة فيما يتصل بعلاقته بمن يحيطون بالدولة الحمدانية ، ولو أن الأمر كان كذلك ، لما عامله المتنبى تلك المعاملة القاسية . حيث يضرب فى حضرته ، فقد ضربه ابن «خالويه» بمفتاح فأسال الدم من وجهه ولم يدافع عنه سيف الدولة [1] .

وتحتاج علاقة سيف الدولة بالمتنبى إلى تفصيل أكثر لبيان وجهة نظر محمود شاكر بشأنها .

(١) البديعى . الصبح المنبى . ص ٨٦ ، ٨٧ ويرى أن ذلك كان أحد أسباب رحيله .

موقف المتنبى من الأعاجم

يشير دارسو المتنبى إلى أن المتنبى وهو عربى يمنى كان متعصبا للعرب [1] وأن هذا التعصب جعله يترفع عن مدح غير العرب ، وإذا كان من الطبيعى أن يتألم المتنبى لزوال سلطان العرب فى زمنه ، وتغلب الأعاجم على السلطان ، وعلى الخليفة فى بغداد ، فإن من المبالغة القول أنه كان يترفع عن مدح غير العرب مطلقا وإنما الصحيح أنه كان لا يريد أن يمدح إلا من كان ذا سلطان يرفع من قدره ، ولابد أن ندرك أن المرحلة الأولى من حياة المتنبى قبل أن يذهب إلى بلاط سيف الدولة وهى مرحلة طويلة تبلغ أكثر من ١٥ عاما - إذ كان - قد بلغ من العمر أربعة وثلاثين عاما فقد ولد سنة ٣٠٣ هـ والتقى بسيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ . فهذه الفترة كانت من أقسى فترات الحياة عليه ، فهو شاعر غير معروف ، يمدح من يأنس فيه كرما ، وتذكر المراجع أنّه مدح كثيراً من الناس غير معروفين أو لم يكونوا ذوى مكانة مرموقة . ولما ظفر ببعض الممدوحين الذين يعطونه ما يرضيه مثل بدر بن عمار الأسدى أو التنوخين ، لمع نجمه ، وبعد صيته وتسابق الناس طلبا لمدحه ، ولكن طموحه لم يكن محدودا فأخذ يسعى لمدح أمير ذى مكانة ، وهو سيف الدولة الحمدانى ، لا لأنه عربى فحسب ، بل لأنه سمع - ربما - عن كرمه ، وعما لديه من الشعراء فوجد الفرصة مواتية للتألق الحقيقى . ولذلك رفض أن يمدح أناساً عاديين ، واتخذ وسيلته إلى سيف الدولة ، ابن عمه أبا العشائر بن حمدان ، وقد مدحه ثم ترك مدحه للأبد بعد اتصاله بسيف الدولة ، ويرى الدكتور طه حسين أن هذا كان من أسباب غضب أبى العشائر عليه . فيقول : «ولم يكن المتنبى حسن الوفاء لأبى العشائر فهو لم يكد يتصل بسيف الدولة حتى أعرض عن غيره من الناس ، ونسى أبا العشائر نسيانا تامّا ، فلم يذكره ولم يشر إليه ، وكان الرجل خليقا أن يلقى من صنيعته بعض الشكر على ما قدم إليه من إحسان . فكان هذا كله ميسرا لشىء من الحلف الذى تم بين أبى العشائر وأبى فراس وأصحابه على قتل المتنبى غيلة ، إذ لم يكن من اليسير قتله جهرة ، فى غير ذنب واضح يبيح دم رجل من المسلمين» [2] .

فهو فى رأيى - لم يمدح سيف الدولة لأنه عربى فحسب ، بل أراد أن يجد لديه من الاستقرار والمجد ما لم يجده عند غيره من الممدوحين السابقين وإن كانت عربيّة سيف الدولة سوف

---

(١) جان لسيرف . مجلة المورد العراقية «المغزى التاريخي للعروبة في شعر المتنبى» . عدد ٣ ، مجلد ٦ ، ١٩٧٧ ص ٨٣ - ٩٦

(٢) طه حسين . مع المتنبى . مرجع سابق ص ٢٦٤

أعجلتَ ألسنَهم بضربِ رقابهم عنْ قولِهم لافارسٌ إلاّ (١)

وقال يمدح أبا شجاع فاتكا ، وهو مملوك غير عربي : من قصيدة مطلعها :

لا خيلَ عندكَ تهديها ولاَ مالُ فليُسعِدِ النُّطقُ إنْ لَمْ تُسعِدِ الحالُ (٢)

حيث يقول فيه :

لا يُدْرِكُ المجدَ إلاّ سيّدٌ فَطِنٌ لما يَشقُّ على السّادات فعّالُ
لا وارثٌ جهلتْ يمناهُ ما وهبَتْ ولا كسوبٌ بغيرِ السّيفِ سآلُ
قالَ الزّمانُ لهُ قولاً فافهمَهُ أنّ الزّمانَ على الإمساكِ عذّالُ
تدرِي القناةُ إذا اهتزَّتْ براحتِه أنّ الشّقيّ بها خيلٌ وأبطالُ
كفاتكٍ ودخولُ الكافِ منقصةٌ كالشمسِ قلتُ وما للشمسِ أمثالُ (٣)

ويقول فيه أيضا :

وقد أطال ثنائي طول لابسه أن الثناء على التنبال تنبال
إن كنت تكبر أن تختالَ في بشر فإن قدرك في الأقدار يختال
كأن نفسك لا ترضاك صاحبها إلا وأنت على المفضال مفضال
ولا تعدك صوّانا لمهجتها إلا وأنت لها في الروع بذال
لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال (٤)

فمن يمدح فاتك هذا المدح ، لا يتعصب للعرب وحدهم ، بل إن مدحه لكافور يشهد بأن مسألة تعصبه للعرب هذه ، كانت مجرّد خواطر تثور في نفسه لكن الواقع الذي لا يسيطر عليه العرب كان يرده إلى صوابه . لقد قال في كافور مدائح رائعة ، رغم ما يقال عن المدح الموجه ، أي الذي يحتمل أن يكون مدحا وهجاء . فقد ذكر صاحب الصبح المنبي ذلك المدح الموجه فقال :

بعد أن ذكر البيت التالي :

فإن نلت ما أملتُ منك فربما شربت بماء يعجز الطير ورده

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٢ ، ٨٣

(٢) الديوان جـ ٣ ص ٢٧٦

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٩

(٤) المصدر نفسه ص ٢٨٦ ، ٢٨٧

الذى يرى أن المتنبى مدح كافور بشعر يمكن أن يتحول إلى ذم إذا تعمقه الناظر وتأوله ، ويرى أن ذلك راجع إلى أننا نقرأ هذا الشعر وفى ذهننا ما قال الشاعر فى ممدوحه ، أو لأننا قرأنا رأى شراحة المتأثرين برأى المتنبى ، ولو أننا قرأناه بعيدا عن هذا لكان لنا رأى آخر (١) .

ثم إن المتنبى يمدح دلير بن لشكروز لهزيمته القرامطة ، ويقول الديوان إن المتنبى قالها لقتال الخارجى الذى نجم بالكوفة من بنى كلاب ، وانصرف الخارجِىّ قبل وصول «دلير» إليها : ومطلعها :

كدعواك كل يدعى صحة العقل	ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل (٢)

ويقول فيها :

عَفِيفٌ تروقُ الشَمْسَ صورةُ وَجْهِهِ	وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقاً لَحَادَ إِلىَ الظل
شجاع كأن الحرب عاشقة له	إذا زارها فَدَّتْهُ بالخيل والرجل
وريان لا تصدى إلى الخمر نفسه	وعطشان لا تروى يداه من البذل
فتمليك دلير وتعظيم قدره	شهيد بوحدانية اللّه والعدل (٣)

وهى قصيدة طويلة تبلغ الأربيعن بيتا ، ويلاحظ القارىء مبالغته في البيت الأخير عندما يدعى أن تمليك دلير وتعظيم قدره شهيد بوحدانية اللّه وعدله ، وكأنّه لا يشهد بذلك . إلا بتمليكه .

ومدحه لهؤلاء الناس دليل على أنه لم يكن يتعصب للعرب مثل ذلك التعصب الذى يجعله لا يمدح غير العرب ، ولعنا لا ننسى أنه مدح عضد الدولة ، ومدح ابن العميد ، وهما ليسا عربين ، وقال فيهما أشعارا رائعة .

ما الذى إذن أثار تلك القضية وهى قضية عروبة المتنبى ، أو بعبارة أخرى تعصبه للعرب ، إنها بعض أشعار فى ديوانه تشير إلى ذلك اطلع عليها باحثون فقرروا هذا الرأى . وقد أشرنا من قبل إلى موقف الأستاذ محمود احمد شاكر من هذه القضية يقول محمود شاكر : «وفى جوار بن عمار الأسدى بدأت عصبية أبى الطيب للعرب والعربية تسفر عن وجه ، وتجلو عن نفس الشاعر ظلمات قد ضربت عليه حجابها ، وهيأت شاعريته لما يستقبله لدى سيف

(١) المرجع نفسه ص ٣٠٣

(٢) الديوان حـ ٣ ص ٢٨٩

(٣) المصدر نفسه ص ٢٩٨

ويذهب إلي ما ذهب إليه الأستاذ محمود شاكر من أن المتنبى كان يتألم لزوال سلطان العرب ، وتحكم الأعاجم فى سياسة الدولة الإسلامية ، الدكتور شوي ضيف ، الذى يرى أن ثورة المتنبى كانت بسبب حكم أولئك الحكام الأعاجم للعرب (١) ، يقول فيما قال عن ذلك : «ويجهر بأن غضبته بل ثورته المأمولة ، إنما هى من أجل العرب الذين رضخوا لحكم الأعاجم ، ويقول إنهم لن يكتب لهم فلاح ، ماداموا قد ذلوا ورضوا حكمهم ، وكل ما يطوى فيه من عسف وقهر وإن واجبهم أن يلقوا هذا الحكم عن ظهورهم ويزيحوه عن صدورهم حتى يعود الحكم والملك عربيا كما كان أولا ...» (٢)

وهو يستمد هذه الفكرة من قول المتنبى :

أحَقُّ عافٍ بدمعك الهمم	أحدث شيء عهدا بها القدم
وإنما الناس بالملوك وما	تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب	ولا عهود لهم ولا ذمم
فى كل أرض وطئتها أمم	ترعي بعبد كأنهم غنم
يستخشن الخزحين يلبسه	وكان يبرى بظفره القلم (٢)

ويطيل الدكتور شوقى ضيف فى تصوير ثورة المتنبى على الملوك الأعاجم الذين يحكمون العالم العربى ، ويصور ما كان يرغب فيه من ثورة تغير ذلك الوضع (٣) .

---

(١) انظر مع المتنبى . ص ١٢٧ حيث يرى طه حسين رأيا مخالفا لغيره من الناس في خلق المتنبى فهو يرى أن حياته منذ التقى ببدر بن عمار الأسدى سلسلة متصلة من بذل الكبرياء للسادة ، والقادة ، والأمراء. ثم البكاء عليها بعد أن يبذلها ويفرط فيها . فهو يرى كبرياء المتنبي التى عرف بها كبرياء كاذبة ، وأنه كان يذل لموحيه ، ثم يتألم على ذلك .

والمتنبي الثائر ما كان يمكن أن يكون جبانا - حسبما يرى طه حسين - الذى يرى أن المتنبي لم يصور إلا نفسه فى بيته التالى :

وإذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الطعن وحده والنزالا

انظر في ذلك المرجع نفسه ص ١٤٥ .

ولا يوافق الباحثون طه حسين على رأيه ، وبخاصة وأن التاريخ يخبرنا بأن المتنبي شارك سيف الدولة في بعض غزواته وثبت معه فى نفر قليل ، ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام عن شجاعته انظر ذكرى أبى الطيب ص ١٤١ ، ١٤٣ : «وحق أن مسير أبى الطيب من الفسطاط إلى الكوفة علي هذه الشاكلة تصديق ما ادعى فى شعره من الجرأة والدربة علي الأسفار بالليل والنهار ، والخبرة بالبوادى ، والمعرفة بقبائل العرب وسادتها ، والدهاء والحزم وقد صدق حين قال :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى   والضرب والطعن والقرطاس والعلم

(٢) فصول فى الشعر ونقده ، مرجع سابق ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ٨١ وانظر حديثه عن ثورة المتنبى التى ينوى أن يخلص بها العرب من الأعاجم . المرجع نفسه ص ٩٠

وهو فى هذه الأبيات يستعطف سيف الدولة ، محاولا أن يخفف من غلوائه فى عقابهم إلى غير ذلك مما يجعل قارىء القصيدة يحس بتعاطف الشاعر مع تلك القبائل الثائرة وحزنه علي ما حل بهم . وكان الدكتور عبد الوهاب عزام أول من التفت إلي تعاطف المتنبى مع القبائل العربية الثائرة على سيف الدولة ، فى حين أن هذا يخالف مذهبه في قصائده التى يمدح بها سيف الدولة مصورا حربه للروم . فيقول «وتختلف قصائده فى حرب الروم عن قصائده فى حرب القبائل العربيّة يتبيّن فى الأولى نقمة الشاعر على الروم ، وفرحه بانتصار المسلمين عليهم . ويبين فى القصائد التى وصف فيها حرب قبائل العرب : بنى كلاب ، وبنى قشير ، والعجلان ، وكعب ، عطف الشاعر عليهم ، والشفاعة لهم والاعتذار عنهم ، واضطراب نفسه بين الإشادة بانتصار الأمة وحزنه على ما أصاب هذه القبائل (١) . ويقول الدكتور شوقى ضيف وهو يعلق على تلك القصيدة : «والمتنبى فى مدائحه لسيف الدولة لا ينسى عروبته كأنّ العرب رُدّ إليهم فخرهم وشرفهم وقوامهم علي يديه ، ولعل هذا هو الذي كان يؤلمه حين رأى بعض القبائل القيسية تتمرد علي سيف الدولة وتشهر السيف فى وجهه . على أنه لم يلبث حين رآه ينكل بها تنكيلا عنيفا أن رفع أمامه شعار العروبة عاليا مستعطفا إياه ، وملتمسا منه الصفح عنهم لموضعهم منه فى نسب العروبة وأواصرها الوثقى» (٢) .

والدكتور طه حسين أيضا معجب بهذه القصيدة ليس للسبب الذي ذكره الدكتور شوقى ضيف ، ولكن لجمال أسلوبها : « فقد وفق فيها المتنبى أحسن التوفيق للملاءمة بين جزالة اللفظ وسهولته ، وبين دقة المعنى وبراعته ، وحسن اختيار الوزن فعمد إلى الوافر ...» (٣)

وفى قصيدته الرائية التى يمدح بها سيف الدولة وقد أوقع ببنى عقيل ، وقشير ، وبنى العجلان وبنى كلاب حين خرجوا عليه : ومطلعها :

طوال قنا تطاعنها قصار وقطرك فى ندى ووغى بحار (٤)

ويبدو – وكأنه يعتذر لتلك القبائل – عن نفور العرب من الخضوع للسلطان لأنها لم تتعود على ذلك فيقول فى شعر جميل :

وأخذك للحواضر والبوادى بضبط لم تعوده نزار

---

(١) ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام مرجع سابق ص ٨٦ .
(٢) فصول في الشعر ونقده ، مرجع سابق ص ٩٦
(٣) مع المتنبى . مرجع سابق ص ٢١٩ ، وانظر المرجع نفسه ص ٢٠ لمزيد من التفاصيل
(٤) ديوان المتنبى حـ ٢ ص ١٠٠

تبريراً آخر غير ما يذهب إليه باحثون آخرون كقولهم إن حبه لسيف الدولة ناتج عن أن الأخير عربى وهو يدافع عن سلطان العرب المسلوب ، بل يرى طه حسين أن انقطاع الشاعر إلي ممدوح ما في ذلك العصر يرجع إلي الظروف السياسية والاقتصادية التى أصبحت تحتم على الشاعر أن ينقطع إلي ممدوحه ، ولا يمدح أحدا غيره وهو ما لم يكن يحدث في العصور السابقة ، حيث كان الشاعر يتمتع بقدر من الاستقلال والحرية يجعله يمدح غير ممدوحه أو يطرق موضوعات شعرية أخرى . ولكن المتنبى ما انقطع إلى ممدوح حتى كف عن أن يقول في غيره ، ولا في غرض آخر غير المدح ولو أنه فعل فمدح شخصا آخر أو أميراً آخر علي خلاف مع ممدوحه لكان ذلك وبالا عليه . فسيف الدولة لا يشغل المتنبى عن غيره من الممدوحين فحسب بل يشغله عن الشعر الخالص ، ويخلص الدكتور طه حسين إلي أن المتنبى كان يتخذ الشعر وسيلة لا غاية ، ويقصد بذلك أنه كان يتخذ الشعر وسيلة لجمع المال فقد كان عبدا للطمع والمال ، لا الجمال والفن (١) .

ويمكن القول إن المتنبى وإن كانت أشعاره تعبر عن ثورة ورغبة في القتال والمجد ، ويكثر فيها التهديد والوعيد ، فإنه كان أولا وقبل كل شيء شاعراً ، وكان فخره الدائم والمتكرر بشعره ، يشير إلي اعتزازه بهذا الشعر الذى يرى أن شاعرا ما لم يصل إلى مستواه ، ولم يبلغ درجة شاعريته ، ولم يكن هذا منه غرورا فحسب ، وإنما كان اعتزازاً بالموهبة والعبقرية أيضا . فهو مثلا يقول وهو فى سن الشعرين ، وكان قوم قد هجوا الحسين بن اسحق التنوخى ونسبوا الهجاء إليه :

وهاجى نفسه من لم يميز ... كلامى من كلامهم الهراء
وإن من العجائب أن ترانى ... فتعدل بى أقل من الهباء
وتنكر موتهم وأنا سهيل ... طلعت بموت أولاد الزناء (٢)

أو قوله :

وما الدهر إلا من رواة قلائدى ... إذا قلت شعر أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا ... وغنى به من لا يغنى مغردا
أجزنى إذا أنشدت شعرا فإنما ... أتاك بشعرى المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتى فإننى ... أنا الصائح المحكى والآخر الصدى (٣)

---

(١) المرجع نفسه ص ١٧٠ ، ١٧١ باختصار وتصرف .
(٢) ديوان المتنبي حـ ١ ص ١١ ، ١٢ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

للعرب ، أو داعية لمجدهم أو ثائرا لتحقيق هذا المجد . فمن يقرأ ديوانه لا يجد به ما يشير إلى تلك العروبة إشارة تجعل منها مذهبا له ، يهاجم في أثناء الدفاع عنه غير العرب ، ولكن ماذا نرى فى هذا الديوان . نجده مثلا إذا مدح عربيا أثنى على العرب ، فإذا كان العربى من نزار أثنى عليهم ببيت من الشعر أو أكثر كقوله يمدح سيف الدولة

تهاب سيوف الهند وهى حدائـد | فكيف إذا كانت نزارية عربا (١)

أو يقول فى سيف الدولة مشيرا إلى الخليفة أو الخلافة العباسية :

ويكبر أن تقـذى بشـىء جفـونـه | إذا مـا رأتـه خـلـة بـك فـرت
جزي الله عنى سيف دولة هاشـم | فإن نداه الغمر سيفى ودولتى (٢)

فهو يذكر بنى هاشم فى هذا البيت .. وعندما يمدح محمد بن عبيد الله العلوى يقول إنه خير قريش أبا :

خير قريـش أبا وأمجـدها | أكثرها نائـلا وأجـودهـا
تـاج لـؤى بن غـالـب وبـه | سمالها فرعها ومحتدها (٣)

وقد يفضل اليمنى على المضرى لأن ممدوحه يمنى كقوله :

قد كنت أحسب أن المجد من مضر | حتى تبحتر فهو اليـوم من أدد (٤)

ويقـول فى سيف الدولـة :

إمـام للأئمـة من قريـش | إلى من يتقون له شقاقا (٥)

وقال يمدح عبد الله بن يحيى البحترى ، بأن قحطان هم سادة العرب فيقول :

كفى بأنك من قحطان من شرف | وإن فخرت فكل من مواليـكا (٦)

---

(١) ديوان المتنبي حـ ١ ص ٦١
(٢) ديوان المتنبى نفسه ص ٢١ ، ٢٢٢
(٣) المصدر نفسه ص ٣٠٥ ، ٣٠٦
(٤) المصدر نفسه ص ٣٥٢
(٥) الديوان حـ ٢ ص ٢٩٨
(٦) الديوان حـ ٢ ص ٣٧٩

تعتصمان منه كل فيما لاعه من بلده الذى يعيش فيه ويقصد أن من يخالفه من العرب والروم لن ينجو منه . وهو يذكر كذلك قبيلة تغلب التى ينتمى إليها سيف الدولة مادحا : فيقول :

فتيها وفخراً تغلب ابنة وائل   فأنت لخير الفاخرين قبيل (١)

ويمدح سيف الدولة كذلك بأن رسول الروم تحير فى عظمته :

تحير فى سيف ربيعة أصله   وطابعه الرحمن واللـه صاقل (٢)

وهو يفضل العرب على الأكراد فى أبيات ثلاثة تفضيلا لا يخلو من حذر واحتياط فيقول :

إن كنت عن خير الأنام سائلا   فخيرهم أكثرهم فضائلا

من أنت منهم يا همام وائلا   الطاعنين فى الوغى أوائلا

والعاذلين فى الندى العواذلا   قد فضلوا لفضلك القبائلا (٣)

فأنت تراه يفضل قبيلة الشاعر ، لا العرب كلم على الأكراد ، فهم أى قبيلة الشاعر فضلت الأكراد لما أورده من شجاعتهم وكرمهم .

ويمدح سيف الدولة بأنه قد رفع من مكانة العرب وأقدارهم فيقول :

رفعت بك العرب العماد   وصيرت قِمَمَ الملوك مواقد النيران

أنساب فخرهم إليك وإنما   أنساب أصلهم إلى عدنان (٤)

ثم هو يجعل كل كريم يمانى إذا كان يمدح قحطانيا ، فيقول على لسان بعض بنى تنوخ كما يذكر الديوان :

ومجدى يدل بنى خندف   على أن كل كريم يمانى (٥)

ولكنه يقول فى مدح كافور : فيفضله على العرب قحطانيين وعدنانيين :

وأى قبيل يستحق قدره   معد بن عدنان فداك ويعرب (٦)

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٩

(٢) الديوان حـ ٣ ص ١١٥

(٣) الديوان حـ ٣ ص ١١١

(٤) الديوان حـ ٤ ص ١٨٤ ، ١٨٥

(٥) المصدر نفسه ص ١٨٨

(٦) الديوان حـ ١ ص ١٨٨

بأرض العرب ، وتملكهم مقاليد المسلمين . وكم سمعنا تحريض العرب علي إنتزا ع الأمر من أيديهم ، لأنه لاصلاح لحالهم مادامت أمورهم فى أيدى أولئك الأعاجم الذين لا أدب عندهم ولا عهود لهم ولا ذمم .

إنما الناس بالملوك وما ... تفلح عرب ملوكها عجم

لا أدب عندهم ولا حسب ... ولا عهود لهم ولا ذمم

فى كل أرض وطئتها أمم ... ترعى بعبد كأنهم غنم

يستخشن الخز حين يلبسه ... وكان يبرى بظفره القلم (١)

وإذا سلمنا بأن المتنبى ترفع عن مدح المهلبى وغيره ببغداد لأنهم أعاجم ، فلماذا مدح عضد الدولة البويهى ، وابن العميد ، وهما أعجميان ؟

---

(١) دكتور محمد عبد الرحمن شعيب . المتنبى بين ناقديه . ط ٢ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٩ ص ٢٩ ، ٣٠ .

المتنبى وادعـاء النبوة

نبوة المتنبى مسألة خلافية عند القدماء ، فبعضهم يراه قد ادعى النبوة ثم سجن ، وأطلق سراحه . ومن هؤلاء ابن العديم فى «بغية الطلب» الذى يذكر أن المتنبى تنبأ في بادية السماوة ونواحيها ، وخرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيديّة فقاتله ومن معه من قبائل كلب وكلاب وهزمهم ، وحبس المتنبى فترة طويلة ، حتي مرض وكاد يهلك ، ثم سئل فيه فاستتابه وأطلق سراحه ، بعد أن أعلن رجوعه إلى الإسلام ، وعدم العودة إلي ما قام به وكتب عليه وثيقة ببطلان ما ادعاه من النبوة ...» (١) .

وهذه الرواية التى ينقلها ابن العديم صريحة فى ادعاء المتنبى للنبوة ، وأن حبسه كان بسببها ، وقد استتيب ، وأخذت عليه الوثيقة فى ذلك ولكن ابن العديم يذكر رواية أخرى تشير إلي خروج المتنبي علي السلطان فى جموع من قبيلتى كلب وكلاب ، مدعيا أنه علوى حسنى من ناحية ، ومدعيا النبوة من ناحية أخرى . ويذكر الخبر أن المتنبى أشهد عليه فى الدعويين بأنه كاذب فيهما معا ، وأنه قد حبس لدعواه تلك ثم استتيب وأطلق سراحه (٢) .

وهكذا نرى روايتين إحداهما ترى أنه ادعّي النبوة وحدها وسجن من أجل ذلك الادعاء ، والأخرى ترى أنه ادعى النبوة والعلوية ، وسجن من أجل ذلك . وهناك رواية ثالثة تقول إنه سجن لأنه ذكر فى بعض شعره ، النور الذى ظهر لاهوتيه فى ممدوحه ، ودار هذا الكلام على الألسن ، فسجن وذلك فى قوله من قصيدته التى مطلعها :

كفى أرانى ويك لومك ألوما ... هم أقام على فؤاد أنجما (٣)

فقد قال فيها :

أنا مبصر وأظن أنى نائم ... من كان يحلم با لإله فأحلما (٤)

فقالوا : «قد تجلى لأبى الطيب ربه ، وبهذا وقع فى السجن والوثاق» (٥) . وهو فى هذا الخبر الثالث سجن لشعر قاله فى ممدوحه ، الذى كان ربما متصوفا أو شيعيّا غاليا .

(١) انظر المتنبى حـ ٢ . ص ٢٥٩ بتصرف حيث ينشر محمود شاكر ما قاله ابن العديم في ابغية الطلب . وما نقلناه منها بتصرف .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٧ .

(٣) ديوان المتنبى حـ ٤ ص ٢٧

(٤) المصدر نفسه ص ٣٢

(٥) المتبنى حـ ٢ ص ٢٥٧

نسب إلى أبى الطيب من دعوى النبوة ، ولم يكن بين أبى العلاء وأبى الطيب غير فترة قصيرة من الوقت ، إذ كان قتل هذا قبل مولد ذاك بنحو تسع سنوات ، فهو أحق أن يتثبت من صدق الخبر ، لو كان إلى التثبت منه سبيل . وإن كان هذا الحافظ الثقة على علمه بأخبار المتنبى وإعجابه به ، وقربه منه ، وقلة تهيبه لدعوى النبوة يشك ويتردد ، فغاية جهد التاريخ والأدب أن يقفا هذا الموقف ، وألا يجزما برأي في أمر القصة التى رواها عن المتنبى جماعة من معاصريه ، أكثرهم من خصومه وحساده ، والحاقدين عليه ، أو من ملفقى الأحاديث ، الذين ينقض بعض كلامهم بعضا ، فلا يؤخذ مأخذ اليقين ، إذ لم يثبت من إرهاصات هذه النبوة التى وسم بها الرجل شيء ، غير أنه حبس فى صباه ، وأنه كان يهجى بها فى عصره ، وليس كل ما يقرف به المهجو المحسود بحجة عليه» (١) .

ويرى العقاد بعد رفضه لنبوّة المتنبى – كما رأينا – علي أساس من رفض أبى العلاء لها ولأنها تهمة موجهة إلى المتنبى من قبل خصومه وحاسديه من معاصريه ، أن ظروف العصر والبيئة تجعله يشتبه فى حدوث أدعاد النبوة من المتنبى . فيقول «غير أنى والحق يقال لا أستبعد دعوى النبوة على المتني ، ولا أجدها غريبة منه ، ولو أنها ثبتت عليه ، لما رأيت فى ذلك ما يدعو إلى دهشة أو غرابة ويحمل على حيطة أو زيادة تنقيب» (٢) . ثم يقول : «ولكننى ظننت ذلك الظن لأن نشأة المتنبى وحالة عصره وشعره ، وجملة ترجمته كلها مما يوسع العذر للمشتبه ، ويوائم مقتضيات الدعوى التى نسبت إليه» (٣) .

فالبيئة التى نشأ فيها المتنبى كانت مسرحا للدعوة القرمطية ، كثيرة الفتن والاضطرابات ، فقد ملك القرامطة البحرين وغزو البصرة ، وقطعوا طريق الحج ، وأغاروا على مكة ونقلوا منها الحجر الأسود إلى هجر ، وألقوا جثث القتلى فى بئر زمزم ، واستهوت الدعوة اتباعها ، وأثر ذلك فى المتنبى الذى كانت سنهُ عندئذ حوالى اثنتى عشر عاما (٤) . وقد رأى المتنبى من هم أقل منه

---

(١) المرجع نفسه ص ١٢١ ، وانظر الكتور عبد العزيز الدسوقى . فى عالم المتنبى ص ١٥٨ حث يرى أن المتبنى لم يدع النبوة ، وإنما ثار متمردا على الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة . وانظر الهلال . أغسطس ١٩٣٥ . احمد أمين «هل كان المتنبى فيلسوفا ؟ ص ١٩ ، ٢٠ حيث يرى أن المتنبى ادعى النبوة ويسلم بذلك ، وكأنه من الحقائق المقررة . وانظر المرجع نفسه ص ٢٤ ، ٢٦ حيث يرى مطران فى مقال له بعنوان : «أبو الطيب المتنبى كان عبقريا ولكن» . أن المتبنى ادعى النبوة .
وانظر محمود شاكر المبتنى حـ ١ ص ١٠٩ حيث يرى أن المتبى سجن بتهمة سياسية وليس لادعائه النبوة.

(٢) المرجع نفسه ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٢٢

(٤) المرجع نفسه ص ١٢٢ ، ١٢٣ بتصرف .

الكلاب ، فيموت بعد وقت قصير (١) . وهى أعمال توحى بأن أبا العلاء كان يشك فى ادعاء المتنبى للنبوة ، وإلا فلماذا فعل ما فعل . ولكنه لايقطع بذلك .

وعلى أيّة حال فقد رأى الأستاذ العقاد مسترشداً برأى أبى العلاء أن المتنبى كان كل ما حوله يمهد له أن يفعل هذا الذى يتهم به ، وإن القطع بذلك غير ممكن لتعذر وجود الدليل القاطع . ولكنه يذهب إلي أن المتنبى كان علّويا ينتسب إلى علّى بن أبى طالب ، وأنه ربما أراد أن يستغل دعوة القرامطة فى تحقيق ثورة علّويّة . وهو بهذا الرأى يسبق الأستاذ محمود محمد شاكر الذى يرى أن المتنبى علوى ينتهى نسبه إلى علي بن أبى طالب رضى الله عنه (٢) ، وإن كان يخالفه فى أن المتنبى ربما يكون قد استغل علويته في تحقيق ثورة قرمطية ، وبخاصة وأن بعض الشيعة الإمامية كانوا يقولـون بالحلول .

كما يشير الأستاذ العقاد إلي اختلاط دعوة الإسماعيلية من الشيعة بدعوة القرامطة مبينا ما كان يقال من أن الإسماعيلية كانوا يدينون بالمانوية (٣) . ولا أريد أن أطيل فى بيان ما ذكره العقاد هنا ، لكننى اكتفى بما يشير إليه عن أخلاق المتنبى التى ذكرها القدماء ، وهو أنه لم يكن يصلى ولا يصوم ولا يقرأ القرآن ، ولم يكن يزكى بعد ثرائه ، كما لم يكن يوقر الأنبياء فيقول : «أضف إلى ذلك أن المتنبى لم يكن يصلى ولا يصوم ولا يقرأ القرآن ، ولا يؤدى زكاة بعد أن أثرى ، ولم يكن متورعا وثيق الإيمان بطبيعة مزاجه ، لأنه صاحب مطامع دنيوية ، وعقل موكل بالأعمال والوقائع لا بالعقائد والعبادات ، وتعرف ذلك من لهجه فى شعره بالحكمة العملية ، ومن قلة توقيره للأنبياء ، وخفّة أسمائهم على لسانه ، حتى كان يقرن نفسه بهم ، كما قال فى إحدى قصائده :

ما مقامى بأرض نخـلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود

وكما قال فى القصيدة نفسها :

أنا فى أمة تداركـها اللّـ ... ـه غريب كصالح فى ثمـود (٤)

---

(١) المرجع نفسه ص ٤٢٣ ، ٤٢٤

(٢) انظر محمود شاكر . المتنبي ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) عباس محمود العقاد . مطالعات في الكتب والحياة ص ١٢٣ ، ١٢٤ وانظر ما يقوله طه حسين عن شيعية المتنبى وقرمطيته . مع المتنبي . مرجع سابق ص ٤٥ «أجد فى نفسى شعورا قويا جدا بأن المتبنى نشأ نشأة شيعية غالية ، لم تلبث أن استحالت إلى قرمطية خالصة» .

(٤) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

أو قولـه يهجو كـافورا :

ألا فتـى يـورد الـهـنديّ هـامتـه — كيما تزول شـكوك النـاس والتهم
فإنـه حجـة يـؤذى القلـوب بـهـا — من دينه الدهر والتعطيل والقدم (١)

وينتهى العـقاد بعد كل هذا البحث ، إلا أنه لا دليل يقطع بإدعاء المتنبى للنبوة ولا بجهره بها ، وإنما ينبز بهذا اللقب لتشبهه بالأنبياء (٢) . وتأتى أهمـية آراء العقـاد لأنها سابقة على آراء محمـود شـاكر .

ويرى الدكتور طه حسين انحراف المتنبى عن الجادّة الدينية معتمدا على مقطوعة من شعره ، ويعتبر هذا الشعر دليلا واضحا على ذلك . والمقطوعة هى قوله :

يا أيـــها المـلك المصـــفى جوهـراً — من ذات ذى الملكوت أسمى من سما
نـــور تظاهـــر فيـك لاهـــوتية — فتكاد تعلـم علـم ما لـن يعلـــما
ويـــهم فيـك إذا نطـقت فصـاحة — من كل عضـو منـك أن يتـــكلما
أنا مبـــصر وأظـن أنـــى نائـم — مـــن كان يحلـــم بالإلـه فأحـلما
كـبر العـيـان علـى حـتى إنـــه — صار اليقين من العـيان توهـما (٣)

وقد رفض محـمود شاكر أن يكون المتنبي قد ادعى النبوة (٤) فبعد أن يستشهد ببعض الأشعار التى تتخذ للتدليل على أن اللقب كان لدوران أسماء الأنبياء فى هذا الشعر ، أو تشبيهه نفسـه بهم ، يرى أن الشـعراء هم الذين الصـقوا به هذا اللقب ، ويضـيف إلى ذلك تعفف المتنبى وتورعه (٥) . وهو هنا يتفق مع كثير مما قال به العقاد من قبل ، وهى كلها آراء مستمدة من أقوال القدماء . ويرى الأستاذ شاكر أن حبس المتنبى كان راجعا لأنه عَلَوِيّ ، أى ينتسب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه (٦) .

---

(١) المرجع نفسه ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢٥ .
(٣) مع المتنبي ، مرجع سابق ص ٤٤ ، ٤٥ وانظر الديوان جـ ٤ ص ٣١ ، ٣٢ .
(٤) محمود محمد شاكر . المتنبى . مرجع سابق ص ١١٢ - ١١٤
(٥) المرجع نفسه ص ١١٥
(٦) المرجع نفسه ص ١١٦

المتنبى وسيف الدولة

يشير صاحب «الصبح المنبى» إلى أن المتنبى كان خاملا ضعيف الشأن قبل أن يتصل بأبى العشائر ابن حمدان ، الذى قدمه لسيف الدولة بعد ذلك (١) ، ولكن هل كان المتنبى خاملا عندئذ أى سنة ٣٣٧ هـ ؟ يرفض هذه الفكرة محمود شاكر ، ويرى أن المتبنى لم يكن مجهولا ولا مغمورا قبل ذلك حتى سنة ٣٢١ هـ وهى السنة التى تعرف فيها المتنبى بسيف الدولة قبل أن يذهب إليه وينقطع لمدحه . ولكنه يراه موضوعا تحت رقابة صارمة من عيون الدولة العباسيّة والعلويين والفاطميين (٢) .

ونرى أن في هذا القول مبالغة من جانب محمود شاكر ،، فلم يكن المتنبى في ذلك الحين قد عرف ولا ذاع صيته إلى هذا الحد ، ونحن نعلم أنه بقى ستة عشر عاما يمدح الناس فى الشام ، طلبا للعطاء . وأن مجده الحقيقى كان في اتصاله بسيف الدولة وذلك في سنة ٣٣٧ هـ ، ولو أن الأستاذ شاكر قال : إنه لم يكن مغمورا ولا مجهولا عندما اتصل بسيف الدولة لأصاب كبد الحقيقة . وهذا ما يذهب إليه بلا شير (٣) . ويذهب طه حسين أيضا إلى أن المتنبى قد أصبح شاعرا مشهورا معروفا عند اتصاله بسيف الدولة ، وأنه كان يدرك هذه الشهرة ، ويقدرها حق قدرها فيمدح من يريد ، ويمتنع عن مدح من يشاء (٤) .

وكان لسيف الدولة الذى قصده المتنبى شعراء آخرون . مثل السرىّ الرفاء بن احمد الكندى (ت ٣٣٦ هـ) على أحد الأقوال (٥) ، وأبى بكر الصنوبرى (ت ٣٣٤) (٦) ، وأبى الفرج الببغاء (ت ٣٩٨ هـ) والخالدين . فضلا عن أبى فراس الحمدانى (الحارث بن سعيد بن حمدان) (٣٢٠-٣٥٧هـ) (٧) .

---

(١) أنظر . البديعى . الصبح المنبى ص ٦٨ - ٧١

(٢) محمود شاكر . المتنبي . ص ٩٧

(٣) أنظر مجلة المورد العراقية العدد ٣ ، مجلد ٦ ص ٤٦ حيث يرى أن المتنبى قبل ذلك وفي سنة ٣٣٠ هـ ، لم يعد الشاعر الذى يتضور جوعا ، ولا الفنان المجهول ، وأصبح بمقدوره اختيار حماته أى ممدوحيه .

(٤) مع المتنبي . ص ١٦١

(٥) بروكلمان تاريخ الأدب العربى حـ ٢ . ط ٢ . دار المعارف . القاهرة . ١٩٦٨ ص ٩٦

(٦) المرجع نفسه ص ٩٧ ، ٩٨

(٧) المرجع نفسه ص ٩٢

وقـولـــه :

والأسى قبل فرقة الـروح عجــز   والأسى لا يكـون بعـد الفــــراق

إلــف هـذا الهـواء أوقـع فى الانـ   ـفـس أن الحمـام مر المـذاق (١)

ويقول بروكلمان عن تأثره بالفلسفة الإغريقية : « وقد تأثرت حكمه الشعرّية التى نالت كبير الإعجاب بالمحصول الفكرى للفلسفة الإغريقية التى كانت واسعة الانتشار فى عصره (٢) . وينكر الخالديان أن يكون المتنبى قليل المعرفة والثقافة . كما ينفيان عنه ما يتهم به على يد الحاتمى وغيره من أنه لم يكن يحب إبا تمام أو يبغضه (٣) هو وغيره من الشعراء المحدثين (٤) . ويدل هذا الخبر على أن المتنبى كان يتعرض للتشهير والكيد حسدا له ، فقد تبوأ مكانة فريدة بين شعراء زمانه ، كما عرف بثقافته الواسعة باللغة ، وتمكنه من الاستشهاد عليها نظما ونثرا (٥) .

وقد قـضى المتنبى – كما هو معروف – تسع سنين فى بلاط سيف الدولة ، وتعرض فيما تعرض له من الأذي للقتل ، فاضطر إلي الفرار نجاة بنفسه . واتجه إلى مصر بحثا عن المجد الذى تمثل له فى ولاية يتولاها تجعله من ذوى السلطان (٦) .

ولعل طول الإقامة فى بلاط سيف الدولة ، مع دلال المتنبى ، وحرصه على أنه الشاعر الفرد في العالم العربى كله ، جعل الأمير الحمدانى يمله ، ويقسو عليه ، كما قد يكون طموح المتنبي الأول قد عاوده من جديد ، فأراد أن يبحث عن ذلك المكان الذى قد يهيىء له أكثر من مكانة الشاعر التى

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٨٦ وانظر أيضا ص ٣٨٧ وانظر د . محمد عزت عبد الموجود

(٢) كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربى حـ ٢ ص ٨٣ ، ٨٤ ولكن لوى ماسينيون يرفض فكرة تأثر المتنبى بالفلسفة الإغريقية انظر مجلة المورد العراقية . مجلد ٦ عدد ٢ ، ١٩٧٧ ص ٦٤ . حيث يقول : «والحاتمى اشتط كل الاشتطاط حين حاول مقارنة كلمة بكلمه لإقامة الدليل علي وجود الصلة بين أبيات المتنبي الحكمية والحكم المنسوبة إلي ارسطوطاليس وإن حكم المتنبي ليست من الفلسفة الهلينية فى شىء» .

(٣) انظر الصبح المنبى ص ١٢٨ – ١٤٢ حيث يورد الحاتمى فى مجلة مع المتنبى أن الأخير لم يكن يعترف بشاعرية أبي تمام ، ويعيب شعره .

(٣) المرجع نفسه ص ١٤٢ ، ١٤٣

(٤) المرجع نفسه ص ١٤٣

(٥) انظر مجلة المورد العراقية . عدد ٣ . مجلد ٦ . ص ٤٧ حيث يرى بلاشير أن المتنبى تذرع بمشاجرة تافهة ليغادر بلاط سيف الدولة . لأن الأمير ظل محايدا في أثناء تلك المشاجرة . مما أدى إلى فتور حمل المتنبى على مغادرة حلب .

(٦) انظر بغية الطلب ، ص ٢٧٨ حيث يرى ابن العديم أن سيف الدولة كان يغتاظ من عظمته وتعاليه .

الشاعر ، فهو لم يستطع أن يرقى بفنه إلا في ظل حام يحميه ويعطف عليه ، وهو لم يستطع أن يعيش عيشة المنتج المرتقى بفنه شيئا فشيئا إلا فى كنف الأشراف والسادة والأمراء ، كأنه النَّبْتُ الطفيلى لا ينمو ولا يزهر إلا فى ظل الشجر الضخام المرتفعة فى السماء» (١) . وينسى الدكتور طه أن هذا كان وضع جميع الشعراء المعاصرين للمتنبى ، بل إن شعراء بلاط سيف الدولة قد كانوا يعيشون فى كنف الرجل ، وعلى عطاياه ، ومن يرحل منهم كالخالديين لا بد أن يبحث عن راع جديد .

ولعل وضع الشاعر الحديث لم يتغير إلا بتغير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مصر والعالم العربي حيث لم يعد الشاعر في حاجة إلى من يرعاه ، ويستظل بظله . ولعنا نذكر احمد شوقى وعلاقته بالقصر ونظره إلى وظيفته علي أنه شاعر الأمير ، ولم يتحرر الشعراء من العيش في كنف غيرهم إلا فى مطلع العصر الحديث ، وقد أصبح ذلك أشد ظهورا بعد ثوة سنة ١٩١٩ ، ولا نريد أن نستقصى العوامل التى أدت إلى هذا لأنه ليس موضوعنا الآن ، وإنما نريد فقط ، أن نؤكد علي أن المتنبى فعل ما فرضه عليه وضع الشاعر فى ذلك العصر .

لقد كان اللافت لنظر طه حسين أن المتنبى عاش للمدح ، وهى حقيقة لاخلاف عليها ، ولم يلتفت فى رأينا إلى مشاعره الخاصة ، وسيطرت على فكره قضية واحدة هى الطموح ، ولكن كما قال بعض الباحثين من قبل فقد رضى المتنبى بوظيفة الشاعر ووطن النفس عليها ، وفَلَّ من غرب مطامحه ما أحاط به من الصعاب فى كل مكان ينتقل إليه ، وقد رأى أنه بعد أن أصبح مادحا لسيف الدولة لا ينبغى أن يمدح من هم دونه من ولاة أو قواد أو وزراء (٢) ، ولذا رفض أن يمدح الوزير ابن الفرات وزير كافور الإخشيدى ، وإن كان قد مدح «فاتك» ربما لغرض فى نفسه كإثارة كافور لعطائه ، أو لأمر آخر ، وعندما ذهب إلى العراق لم يمدح المهلّبى مع أنه مدح دلير بن لشكروز عندما ذهب إلى الكوفة لمحاربة القرامطة ، ولا يزال السؤال حائرا لماذا لم يمدح المهلبى ، ومعز الدولة البويهى . ألأن معز الدولة ، كان عدوا لسيف الدولة وكان الشاعر ينوى أن يعود إليه ، ولكننا نعلم أنه رفض تلك العودة . أم أن هناك أسبابا أخرى لا نعلمها ؟

(١) مع المتنبى . ص ١٦١ .

(٢) وأري أن وضع المتنبي في بلاط سيف الدولة كان حساسا لأن المتنبى لم يكن يستطيع أن يمدح أحدا مع الأسرة الحمدانية التي وإن بدا فى الظاهر أنه لم يكن بين رؤسائها عداء أو خلاف ، فإن الحقيقة أن هذا الخلاف كان قائما ، وقد ظهر بعد موت سيف الدولة ، فى محاولة أبى فراس الاستيلاء علي الملك ، ولكنه لم يستطع ذلك ومن هنا لم يمدح المتنبى أحدا وهو فى بلاط سيف الدولة غير سيف الدولة نفسه .

كما يهرب ابن نباته السعدى من بلاطه كذلك بعد أن كان أثيراً عنده ، وإن كان هذا الفرار لأسباب سياسية (١) . ويصف بلاشير سيف الدولة بأنه كان حازما مع مادحيه (٢) . ولعله يقصد بذلك المعاملة المتشددة معهم .

ولما كان عداء الأميرين أبى فراس وأبى العشائر الحمدانى للشاعر أمرا ثابتا ، فإننا ينبغى ألا نرفض ما يقال عن الخلافات وربما العداء بين الأسرة الحمدانية نفسها . فإذا كانت فكرة التنافس بين أبى فراس وبين المتنبى فى صنعة الشعر محتملة ، و يذكرها الباحثون فلابد من مناقشتها ، فمع أن أبي فراس هو أعظم شعراء البلاط الحمدانى بعد المتنبى ، إلا أن بين الشاعرين أوجه شبه تتمثل فى بروز شخصية أبى فراس ، وبروز شخصية المتنبى في شعريهما ، وإن كان لبروز شخصية الأول أسباب أخري ، فهو أمير طامح ، وفارس شجاع ، وهو لا يمدح تكسبا ، ولا يمدح إلا سيف الدولة ، وشعره فخر وغزل وأشياء تشبه الرسائل بينه وبين أصدقائه ، كما أنه يفخر بنسب معروف مشهور . ولا أريد أن أضرب الأمثلة على شعر الفخر عنده ، وهو الفخر الذى يشيد فيه بنفسه كفارس شجاعته تصل إلى حد المبالغة ، وهو ظاهر في ديوانه ظهورا واضحا . ومما يدل على أن تلك المنافسة بين أبى فراس والمتنبى لم تكن علي الشعر أن أبا فراس ينفى عن نفسه أن يكون شاعرا ، مادحا . ولا أظن أنه ينفي عن نفسه حقا الشاعرية ، وإنما هو ينفى عن نفسه أن يكون ممن يؤجر على مدحه . يقول :

نطقت بفضلى وامتحدت عشيرتى وما أنا مدّاح ولا أنا شاعر (٣)

وقد تأثر أبو فراس ، بالمتنبى ، ولا نريد أن ندخل فى تفاصيل هذا ، لأنه ليس موضوعنا الآن ، ونرجح أن الصراع كان بين الرجلين لأن المتنبى لم يمدح أبا فراس ، ولعل هذا كان سبب خلافه مع أبى العشائر الذى لم يمدحه بعد أن عرفه بسيف الدولة .

قلنا أن الخلافات كانت موجودة بين الأسرة الحمدانية ، ويظهر هذا من أشعار لأبى فراس يقول فيها :

---

(١) المرجع السابق ص ٩٧ ، ٩٨
(٢) انظر مجلة المورد العراقية . المجلد ٦ ، العدد ٣ ، ١٩٧٧ ص ٤٦
(٣) انظر ديوان أبى فراس الحمدانى . شرح عباس عبد الستار . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط ٢ ، ١٩٨٦ ص ٩٤

مـــن الجاذر فـى زى الأعاريب | حمر الحلى والمطايا والجلابيب
إن كنت تسأل شكا فـى معارفها | فمـن بـــلاك بتســهيد وتعـذيب
لاتجـزنى بضنى بى بعدها بقر | تجزى دموعى مسكوبا بمسكوب

ونرى أن هذا الغزل تقليدى ، وإن كشف عن براعة المتنبى ، وهو فى تلك القصيدة يفضل البدوية على الحضرية ، وما نظن خولة كانت بدوية ، وإنما هى أميرة مرفهة ، وحسنها - لو كان يحبها - لم يكن ليراه مجلوبا تبطرية ، أو بغيرها من وسائل صناعة الحسن والجمال ، وما كان لو كان يعشق «خولة» الحضرية ليشبه المتحضرات من النساء بالمعيز ، فى حين يشبه البدويات بالآرام في جمال العيون . وفى غزلة هذا ما يدل على التقليدية مثل تشبيه البدويات بالبقر ، ثم حديثه عن زيارة أولئك البدويات خلسة في جنح الظلام . مما يجعلنا نرى أن شعر المتنبى الغزلى لو درس دراسة فاحصة لتبين أنه لم يدل على عاطفة صادقة حقا عنده .

وقد تناسى الباحث فى غمرة اقتناعه بقصة «خولة» تلك ما كان حول المتنبى من شعراء وغيرهم يكيدون له ، وهى أخبار ثابتة موثقة ، فالكيد فى رأينا هو السبب لذلك الرحيل ، أما قصة الحب فلا سند لها إلا الدراسة الفنية أو «التذوقية» التى تجعل الأستاذ محمود شاكر يتصور أن المتنبى أحب خولة مستشهدا بالقصيدة التى رثاها الشاعر بها (١)

ويرى الدكتور شوقى ضيف أن المتنبى رحل عن سيف الدولة بسبب من كانوا حوله فى بلاطه ، فقد كانوا له حتى تغير الرجل عليه ، وأعرض عنه يقول : «ونَفِسَ عليه كثيرون من حاشية سيف الدولة - وفي مقدمتهم أبو فراس الحمدانى الشاعر - منزلته ، فأخذوا يكيدون له عنده ، وأحس المتنبى بكيدهم ، وأن سيف الدولة يرهف سمعه إليهم ، فأنشده قصيدة ميمية يعاتبه فيها عتابا مرا بمثل قوله :

يا أعدل النـاس إلا في معـاملتى | فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
إذا ترحّلت عن قـوم وقد قـــدروا | ألا تفـارقهـم فالـراحـــلون هـــم

ويحاول سيف الدولة مرضاته ولكن حاشيته تظل تكيد له ، وعجيب أمر الناس فإنهم يظلون يحسدون الأديب ، حتي لو كانت ملكاته من الخصب مثل المتنبي ، بل هم يحسدونه لهذه الملكات ، ويحاولون أن يفسدوا بينه وبين راعيه . ومن عجب أن يسمع سيف الدولة لحساد المتنبى (٢)» . فهذه

(١) انظر المتنبي حـ ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ وما بعدها

(٢) شوقى ضيف . عصر الدول والإمارات . الجزيرة العربية - العراق - إيران . دار المعارف - القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٨٣ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨

«وهذا هو الهم الذى يسقم الجسم ، ويضرم نارا في القلب ، ولا يملك له الإنسان ردا . لا يكون إلا هذا الحب العنيف الذى تتقطع دونه الآمال ، ولا يكون هذا الهم إلا ذلك ، فإن أبا الطيب كان ممتعا بكل شيء في ظل سيف الدولة ، فقد كان صاحب إقطاع ومال كثير قد أسبغه عليه سيف الدولة» (١) .

فالأبيات لا تزيد علي مبالغات يعتذر بها المتنبى عن تأخره فى مدح سيف الدولة . ولو ان الأمر أمر تأويل فإننا نجد بيتا فى رثاء أم سيف الدولة يمكن أن يكون دليلا على عشقه لها إذا أخذ على غير دلالته وهو قوله :

بعيشك هل سَلَوْتِ فإن قلبى وإن جانبت أرضك غير سالى (٢)

وهو غزل صريح ، دفعته إليه المبالغة ، ولا أدل على غرابة هذا البيت فى تلك القصيدة التى أراد بها الرثاء من قول الشارح «وقال ابن جنى وآخرون هذا مما وضعه في غير موضعه» وأقول إن مثل هذا كان دافعه المبالغة التي تجعله يخرج علي المألوف ، وعلي قواعد اللياقة أحيانا كقوله فى رثاء أم سيف الدولة :

رواق العز فوقك مسبطر وملك على ابنك فى كمال

وقد لاحظ البديعى ذلك فقال : «ولعل لفظة الاسبطرار في مراثى النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المبين» (٣) .

وممن يقول بعلوية المتنبى كذلك الدكتور محمد عبد الرحمن شعيب ، ولكنه يجعلها مذهبا له ولذوقه ، ما دام نشأ بالكوفة وتعلم بمكتب كان يتعلم فيه أبناء أشراف الكوفة دروس العلوية وغيرها ، ويشير إلى مكانة الكوفة كمقر للشيعة الداعية لعلى بن أبى طالب (٤) .

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٤١

(٢) ديوان المتنبى حـ ٣ . شرح البرقوقي ص ١٤٧ . وانظر الصبح المنبى ص ٢٨٠ حيث يذكر البديعى : «فيشوق إليها ، ويخطىء خطأ لم يسبق إليه وإنما يقول ذلك من يرثى بعض أهله ، فأما استعماله إياها في هذا الموضع ، فإنه دال علي ضعف البصر بمواقع الكلام» .

(٣) الصبح المنبى ص ٢٨١

(٤) دكتور/ محمد عبد الرحمن شعيب . المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث . دار المعارف . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٦٩ ص ١٢ ، ١٤

وعلى أية حال فلم يقل أحد من المحدثين ولا القدماء أن المتنبى التقي بسيف الدولة قبل سنة ٣٣٧ هـ ، وبالتحديد فى سنة ٣٢١ هـ . إلا الأستاذ محمود شاكر ، مع أن هناك أبياتا فى القصيدة قد توحى بأنها قيلت فى سيف الدولة ، وهو مجرد إيحاء ، لا يحتمل القطع . كالبيت التالي :

عيب عليــك ترى لسـيف فى الوغى ... ما يصنع الصمصام بالصمصام (١)

أول قولـــه :

يا سـيف دولـة هاشـم من رام أن ... يلقى مــناك رام غــير مــرام (٢)

ويعتمد الدكتور عبد الوهاب عزام علي أن نسخ الديوان ، وأقوال شارحيه ، تتفق على أن المتنبي قال هذه القـصـيدة فى سنة ٣٢١ ، ولكنه يرى أن المتنبى لم يمدح بها سيف الدولة لقول المتنبى فى مدحه :

صلىّ الإله عليك غــير مـودع ... وسقى ثرى أبويك صوب غمام

فى حين أن أم سـيف الدولة لم تتوف إلا فى سنة ٣٣٧ هـ ، وقد رثاها المتنبى

ولأن فى القصيدة كذلك : قولـه :

يا سيف دولة هاشـم من رام أن ... يلـقـى مُنـاكَ رام غـير مرام

وأن سيف الدولة على بن حمدان ، لم يلقب بهذا اللقب قبل سنة ٣٣٠ هـ ، بل يرى إنه يجوز أن يكون هذا البيت منحول ، كما قال بعض شراح ديوانه .

ويجـوز - كما يرى الباحث - أن يكون المقصود بقـول المتنبى «ثرى أبويك» هما أبا سيف الدولة وجـده ، أو لعل المتنبى لم يفطن إلى أن أم سيف الدولة كانت لا تزال حـية ترزق . ومع ذلك ينتهى إلى أن كل شكوكه حول هذه القصيدة لا ترد الروايات الصريحة التى تقول إنه مدح بها سيف الدولة (٣) .

---

(٢) ديوان المتنبى جـ ٤ ص ١٠

(٣) المصدر نفسه ص ١٣

(٤) ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام ص ٨٥

المتنبى وكافور

ترك المتنبى سيف الدولة بعد أن ضاق به المقام هناك ، وفر إلى دمشق ومنها إلى مصر . يقول صاحب الصبح المنبى : "وجعل كافور الإخشيدى يكتب فى طلب المتنبى من ابن ملك" (١) وهو ما يدلى على أن المتنبى ذهب إلى مصر بدعوة من كافور . وقد اهتم كافور اهتماما بالغا بالمتنبى حتى يظفر بمدحه . وقد قلنا من قبل إن الأستاذ محمود شاكر يرى أن فراقه لسيف الدولة كان بسبب حبه خولة أخت سيف الدولة ، وأن الأخير وعده بالزواج منها ثم أخلفه ، يقول : "... إن هذا الفراق كان لأسباب قد اقتضاها حب أبى الطيب خولة أخت سيف الدولة ، وبقى أبو الطيب فى جوار صاحبه وحبيبته يتلذّع بآلام قلبه وفكره ، تسعة أعوام مجرمة ، وهو على عدة من سيف الدولة أن يحقق آمال فكره السياسية ، وأمانى قلبه وعواطفه بزواج خولة ، ثم أدركه اليأس ، وظن أن فى الفراق راحة ونسيانا" (٢)

ومع أنه لا ينكر أن الشعراء والأدباء قد ضايقوه فى هذا البلاط الحمدانى فإنه يرى أن ذلك كان بتحريض من أبى فراس وأبى العشائر بسبب حبه "لخولة" ، الذى كان السبب الأكبر فيما منى به المتنبى من الكيد (٣) ولا يرفض محمود شاكر روايات القدماء بشأن علاقة أبى الطيب بكافور ، وكيف أظهر له التهمة ، ثم أعطاه فمدحه ، ويشير إلى أنه مدح كافورا مكرها ، ولذلك بدأ مدحه له بالبيتين التاليين .

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا	وحسب المنــايا أن يكـن أمانيا
تمنيتـهـا لمــا تمنــيت أن ترى	صديقـا فأعيا أو عدوا مُدَاجِـيًا

ويرى أن فى هذين البيتين لاهجاء شديدا لكافور فحسب بل يرى فيهما إقذاعا وفحشا فى الهجاء ، وأنه لهذا السبب إمتلأ شعره فى مصر بالحزن والفجيعة والحسرة واليأس . ولكنه حاول بكل وسيلة أن يحصل منه على ولاية ، متحملا فى ذلك أشد الآلام . (٤)

ويتخذ الدكتور عبد الوهاب عزام موقفا مناقضا لذلك الموقف فهو يرى أن قصيدة المتنبى التى بدأها هذا البدء لا تدل على أنه مدح كافورا كارها ، وإنما هى تعبير عن حزنه لغدر صديقه

(١) الصبح المنبى ص ١١٠

(٢) محمود محمد شاكر . المتنبى جـ١ ص ٢٥٢

(٣) انظر المرجع نفسه ص ٢٥٢ – ٢٥٤

(٤) المرجع نفسه ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

بكافور وظهر ذلك على شعره ، كقلة مدحه أو مدحه بعد فترات طويلة وفى مناسبات معينة كانت تضطره إلى القول (١)

ويمضى طه حسين إلى ماذهب إليه عبد الوهاب عزام من أن المتنبى أكثر من مدح كافور أول الأمر . ثم أخذ مدحه له يقل حتى أصبح قصيدة واحدة فى عام . ولكنه ينكر أن يكون المتنبى قد أعرض عن مدح كافور بهذه الصورة ، ويعتقد أنه مضى فى مدحه كما كان يفعل من قبل ، ولكنه أسقط هذا الشعر من ديوانه ، أو أسقطه غيره من رواة شعره بعد موته ، فلم يصل هذا الشعر إلينا ، وهو يرجح إسقاط المتنبى لمدحه فى كافور بعد أن استجداه بلا فائدة حتى لا يبقى من هذا المدح إلا ما يقيم الحجة عليه (٢)

ونخالف الدكتور طه فى هذا الرأى ، لأن أحدا من القدماء لم يشر إلى أن المتنبى أسقط شيئا من شعره فى كافور ، وكان ديوانه معروفا ، وشعره مسموعا منه ، ومرويا عنه ، وما كان ذلك ليخفى على معاصريه ، بل إن بعض شعره الذى لم يدون فى ديوانه يشير إليه "البديعى" ، ويذكر له قصيدتين فى هجاء كافور ومدح سيف الدولة . فيقول : "رأيت له قصيدتين فى هجاء كافور ومدح سيف الدولة ، ونقلتهما عن خط أبى منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى . قال إنهما وجدتا فى رحله لما قتل وعملها بواسط ..." (٣) وفى رأيى أنهما لا تشبهان شعر المتنبى لالغة ولا صياغة ولا خيالا .

وينفى الأستاذ سعيد الأفغانى معتمدا على الذهبى وغيره من المؤرخين القدماء ما يصف به المتنبى كافورا ، ويراه حاكما صالحا حسن العقل والتدبير ، ويرى فى وصف المؤرخين القدماء لكافوربصفات كثيرة طيبة ، ما يجعلنا لا نصدق ما يقوله المتنبى فيه ، ولو أن كافورا أراد الخلاص من المتنبى لكانت كلمة واحدة منه كافية للإطاحة برأسه . (٤) ويورد الدكتور نعمان القاضى كثيرا من أقوال القدماء عن تدين كافور ، وتواضعه للعلماء ، وكرمه ، وإغداقه على الشعراء والعلماء ، كما يتحدث أيضا عن ثقافته . (٥) وهو ما ينفى عن كافور ما يذكره المتنبى .

---

(١) ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام ص ١١٠ - ١٢٤

(٢) مع المتنبى ص ٢٩٧ ، ٣٠٣ - ٣٠٨

(٣) الصبح المنبى ص ١٠٤ ، وانظر القصيدتين المرجع نفسه ص ١٠٤ - ١٠٨

(٤) انظر المتنبى جـ ٢ ص ٢٠٦

(٥) دكتور النعمان القاضى . كافوريات أبى الطيب . مركز كتب الشرق الأوسط ومكتبتها . القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٤٩ - ٥١

ويكذب ذلك ما يقال عن ذكاء كافور وفطنته ، وتنبهه إلى المعانى التى أرادها المتنبى فى وصف شبيب العقيلى . وقد تنبه "البديعى" إلى أن بعض المديح الذى قيل فى كافور قصد به المتنبى إلى الهجاء فقال : "... وكثيرا ما يقصد المتنبى هذا القسم [يقصد المدح الذى يمكن أن يؤول إلى هجاء ، أو ما يسميه بعض الناس بالمدح الموجه] * فى كافورياته كقوله :

عـدوك مذمـوم بكل لسـان	ولو كان من أعدائك القمـران
ولـلـه سر فى عـلاك وإنما	كلام العدا ضرب من الهذيان

إلى أن قال فى أواخرها :

قضـى اللـه يا كافور أنـك أول	وليس بقـاض أن يرى لك ثـان
فمـا لك تخـتار القسى وإنمـا	عن السعد يرمى دونك الثقـلان
ومـالك تعـنى بالأسـنة والقنـا	وجـدك طعـان بغـير سـنان
ولم تحمل السيف الطويل نجاده	وأنت غنى عنـه بالحـدثان (١)

وينقل عبد الوهاب عزام عن معجم الأدباء أن أبا الطيب لما أنشد كافورا قوله فى هذه القصيدة مشيدا بشبيب .

وقد قتل الأقران حتى قتلته	بأضعف قرن فى أذل مكان

أدرك كافور مغزى هذا القول ، وهو التهوين بشأن انتصاره على شبيب فقال لا والله بل بأشد قرن فى أعز مكان (٢) ، كما يذكر عنه أنه لما سمع قول أبى الطيب فى قصيدته التى ذكر فيها الحمى وهو بمصر :

ولـما صار ود النـاس خبا	جزيت على ابتسام بابتسام

لم يبتسم كافور له ، كما كان يفعل من قبل (٣) . وهذا يدل على أن كافورا فطن إلى مرامى أبى الطيب ، ومقاصده . ولو فرضنا جدلا أنه لم يفطن إلى ذلك ، ألم يكن يجد فى خصوم المتنبى من حوله كابن الفرات وغيره ، من يجعله يفطن إلى هذا .

* الإضافة التى بين القوسين من عندنا
(١) الصبح المنبى ص ١١٩ ، ١٢٠
(٢) ، (٣) ذكرى أبى الطيب ص ١٠٦

وتعلق به ورثاه لا لغاية اللهم إلا إغاظة كافور إن صح هذا . ويرى الدكتور طه حسين الرأى نفسه الذى ذكره عبدالوهاب عزام فيقول : وقد اعتل فاتك وأقبل إلى القاهرة يستشفى ، سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ولعله احتال فى لقاء المتنبى ، واحتال المتنبى فى لقائه ، وأتيح لهما هذا اللقاء فى الصحراء ، كما يقول ابن خلكان ، ثم أهدى أبو شجاع إلى المتنبى فأحسن الإهداء ، وأعطاه فأجزل العطاء . واستأذن المتنبى كافورا فى أن يشكر لفاتك إهداءه وعطاءه . فلم يجد كافور بدا من الإذن مجاملة ومصانعة أيضا" (١)

ويمدحه بأبيات جميلة أخرى فى سياق حديثه عن مسيره من مصر فيقول :

تخدى الركاب بنا بيضا مشافرها ... خضرا فراسنها فى الرغل والينم
معكومة بسياط القوم مضربها ... عن مَنْبِتِ العشب نبغى مَنْبِتِ الكرم
وأين منبته من بعد منبته ... أبى شجاع قريع العرب والعجم
لا فاتك آخر فى مصر نقصده ... ولا له خَلَفٌ فى الناس كلهم
من لا تشابهه الأحياء فى شيم ... أَمْسَىَ تشابهه الأموات فى الرمم
عدمته وكأنى سرت أطلبه ... فما تزيدنى الدنيا على العدم (٢)

كما رثاه فى مواضع أخرى من شعره .

وهناك قضية تتعلق بامتناع المتنبى عن مدح ابن خنزابه وزير كافور الإخشيدى مما جعله يكيد له ، كيدا بالغا ، وهجاه بعد خروجه من مصر (٣) ويذكر الدكتور عبد الوهاب عزام أثر امتناع أبى الطيب عن مدح ابن الفرات (ابن خنزابه) فى أن كافور لم يحقق له ما يريد ، وأنه لو مدح الوزير وتوسل به لربما تحقق له ما كان ينشده ، ولكن الباحث يرى أنه لم يمدحه ، ربما لأنه لم يحتف به كما يجب فأعرض عن مدحه (٤) . ويذكر الدكتور محمد كامل حسين أن ابن خنزابه كان حاقدا على المتنبى ، لأنه لم يمدحه ، وأن المتنبى بدوره كان حاقدا عليه لأنه لم يرضه ، فحرض الوزير الشعراء والأدباء عليه ، الذين بدورهم كانوا يحقدون عليه شهرته ومكانته (٥) بل يذهب الدكتور محمد حسين إلى أن قصيدة المتنبى التى مطلعها :

---

(١) مع المتنبى ص ٣٢٥
(٢) الديوان حـ ٤ ص ١٥٨ ، ١٥٩
(٣) محمود شاكر المتنبى ص ٢٦١
(٤) ذكرى أبى الطيب ص ١٢٩
(٥) دكتور محمد كامل حسين . أدبنا فى عصر الولاة . دار الفكر العربى القاهرة ، ١٩٦١ ص ٢١٨

أبا المسك هل فى الكأس فضل أناله فـإنى أغـنى منـذ حين وتشـرب
وهـبت علـى مقـدار كـفى زماننـا ونفسى على مقـدار كفـيك تطلـب
إذا لـم تنـط بـى ضيعـة أو ولاية فجـودك يكسـونى وشـغلك يسلب (١)

أو إشارته إلى ذلك تلميحا فى قوله :

فارم بى ما أردت منى فـإنى أسـد القـلب آدمـى الـرواء
وفـؤادى من الملـوك وإن كا ن لسانى يرى من الشعراء (٢)

ويرى شـارح الديوان أن المتنبى كـان يعرض لكافور فى مدحـه ليوليـه ولاية ولكن كافورا لم يحقق له ذلك (٣)

ثم هناك قضية أخرى ، وهى قضية تحويل قصائد مديح المتنبى فى كافور إلى هجاء ، وهو أمر قد ينطبق على بعض الأبيات بعد تأويل من تأول ذلك من خصوم المتنبى ، ولكن يبقى بعد ذلك كثير من القصائد التى تشهد بعظمة هذا المديح .

ويقول فى مدح رائع له ملمحا بالولاية أو الملك :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم إلى غيـوث يديـه والشـآبيب
إلى الذى تهب الـدولات راحـته ولا يمـن على آثـار موهـوب (٤)

ومن مدحه الرائع لكافور الأخشيدى والذى ينقض محاولات تحويل المديح إلى هجاء قوله :

ترعرع الملك الأستاذ مكتهلا قـبل إكتهـال أديبا قبل تأديب
مُجَرَّباً فهمـا من قبـل تجربـة مهذبا كـرماً مـن قبـل تهـذيب
حتى أصاب من الدنيا نهايتها وهمـه فى ابتـداءات وتشـبيب
يدبر الملك من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الروم فالنوب
إذا أتتها الرياح النكب من بلد فمـا تهـب بهـا إلا بترتيـب
ولا تجاوزها شمس إذا شرقت إلا ومنـه لـهـا إذن بتغـريب (٥)

---

(١) ديوان أبى الطيب المتنبى . بشرح العكبرى . حـ ١ . دار الفكر . بيروت الفكر - بيروت . د . ت . ص ١٨٢
(٢) ، (٣) المصدر نفسه ص ٣٦
(٤) المصدر نفسه ص ١٧٣
(٥) المصدر نفسه ص ١٧٠ ، ١٧١

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا   لمن بات فى نعمائه يتقلب
وأنت الذى ربيت ذا الملك مرضعا   وليس له أم هناك ولا أب
وكنت له ليث العرين لشبله   ومالك إلا الهندوانى مخلب
لقيت القنا عنه بنفس كريمة   إلى الموت فى الهيجا من العار تهرب
وقد يترك النفس التى لاتهابه   ويخترم النفس التى تتهيب
وما عدم اللاقوك بأسا وشدة   ولكن من لاقوا أشد وأنجب (١)

وقد يقع الشاعر فى التكلف وهو يمدحه فيقول مثلا : فى القصيدة نفسها :

وما طربى لما رأيتك بدعة   لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب (٢)

فيظن أن المتنبى كان يقصد بذلك ، هجاء كافور فى صورة المدح ، فالبيت يشبه الاستهزاء – كما يرى الواحدى – إذ جعله كالقرد (٣) . ولقد تكلف الشعراء السابقون للمتنبى والمعاصرون له الكثير مما يشبه هذا وهو بيت ضمن قصيدة رائعة من قصائد المديح ، فلا يغض من مدحه للرجل . وفى رأينا أن كافور لو حقق للمتنبى مبتغاه ، لكان له فيه آيات رائعات من الشعر فضلا عما قاله فيه .

ويؤخذ عليه قوله :

تجاوز قدر المدح حتى كأنه   بأحسن ما يثنى عليه يعاب (٤)

إذ يراه ابن جنى من المدح الذى كاد أن ينقلب لإفراطه هجوا (٥) وهذا راجع كما يرى ابن جنى إلى مبالغة المتنبى فى مديحه دون قصد – فى رأينا – إلى هجوه بحال من الأحوال . وهو يقول ما يمدح به قبل هذا البيت وبعده مديحا طيبا : فيقول بعد هذا البيت :

وأوسع ما تلقاه صدرا وخلفه   رماء وطعن ، والأمام ضراب
وأنفذ ما تلقاه حكما إذا قضى   قضاء ملوك الأرض منه غضاب

---

(١) الديوان جـ ١ ، ص ١٨٥
(٢) المصدر نفسه ص ١٨٦
(٣) انظر المصدر نفسه هامش ص ١٨٧
(٤) المصدر نفسه ص ١٩٤
(٥) انظر المصدر نفسه هامش ص ١٩٤